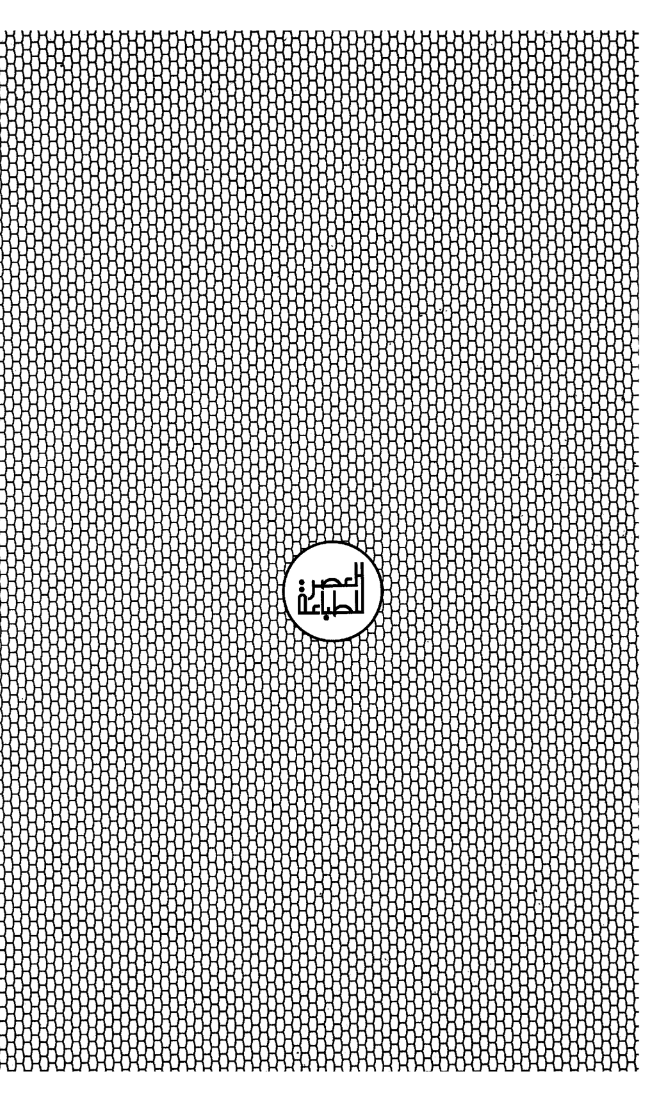
لِلعِبرَةِ وَالعِظَةِ

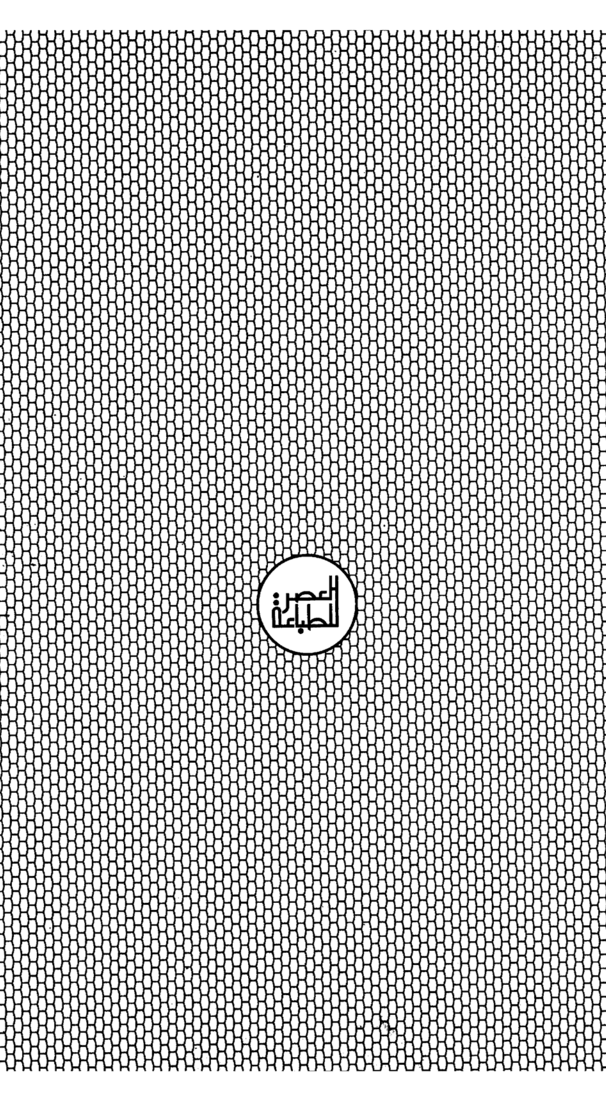
قَصَصٌ مُرَوِّعَةٌ نِهَايَاتُهَا مُؤْسِفَةٌ

فَهَلْ مِنْ مُعْتَبِرٍ؟

إعداد وترتيب
محمد أمين الجندي

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥١٧٢٦٩


العصر للطباعة


العصرية
للطباعة

للعبـــرة والعظة ..

قصص مروعة نهايتها مؤسفة

فهل معتبر؟! ...

جمع وترتيب
محمد أمين الجندى
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦


العصرية
للطباعة
هاتف : ٢٩٨٤٣٧٥
فاكس : ٢٤٣٣٢٤٩
محمول : ٠١٠ ١٩٠٠٠٣٨







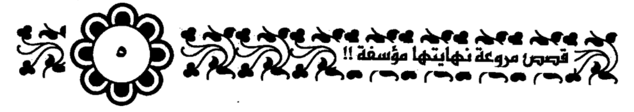


رقم الإيداع ٩١٠٩ / ٢٠٠٢

الترقيم الدولى

977 - 331 - 050 - 2

١٧ ش خليل الخياط - مصطفى كامل
إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩ـ ٥٤٤٦٤٩٦



المقدمة :

الحمد لله على إحسانه ، والشكر له على توفيقه وامتنانه ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله ، ومن سار على منهاجه .

وبعد : فإن النفوس تحب القصص ، وتتأثر بأحداثها بكل ما فيها من آلام وآمال ، وأحاسيس وانفعال .

لذا ؛ فقد استعنت بالله تعالى وجمعت فى هذا الكتاب عدداً من القصص الواقعية المؤثرة ، بل المبكية ، راجياً أن تكون – بإذن الله تعالى – سبباً فى إيقاظ القلوب ورقتها ، جمعتها وسجلتها للعبرة من أحداثها ، والعظة من خاتمتها .

أجل ... إنهـا [**قصص مروعة ... نهايتها مؤسفة ... فهل من معتبر ؟!**] .

إننى أسجل هذا القصص لأهل الخير والصلاح حتى يحذروا ، أسجلها للمسرف حتى يتوب وينيب إلى ربه، أسجلها للغافل حتى ينتبه قبل وقوع المصيبة.

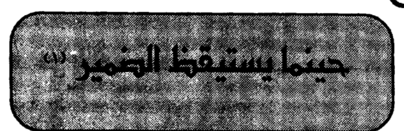
فافتحوا – أيها الأحباب –مسامع قلوبكم لعبرها وعظاتها فصادق الإيمان ، وصاحب القلب السليم هو الذى تؤثر فيه الزواجر ، وتنفعه المواعظ ، وتؤلمه جراحات المعاصى ، فتأملوها وتدبروها ، فإن فيها – والله – ما يبكى العيون ويُدمى القلوب ... فهل من متعظ ؟ .

فاللهم أحي قلوبنا ، ونورها بنور الإيمان ، وزينها بمحبتك وجَمِّلْ ألسنتنا بذكرك وشكرك .

اللهم : وانفع بهذه القصص ، واجعلها سبباً فى هداية قارئها ، واجعلها لوجهك الكريم خالصة ... اللهم آمين .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

محمد أمين الجندي



تقول عن نفسها :

لا أظن أحداً تشبّع من دنياه مثلي ، أو ضحك كضحكي ، أو لهى كلهوي ، وبرغم ذلك كانت حياتي جحيماً لا يُطاق ، كان نهاري ضائع ما بين غناء فاحش واستهتار كبير ، وتسكع في الشوارع والأسواق ، أما ليلي فينقضي في سهرات تافهة ومناظر سافلة أمام القنوات الفضائية ورنين الهاتف ، حياة لا معنى لها سوى الضياع والغفلة ؛ اهتماماتي كانت دنيئة جداً إلى حد الخسة ، ومع ذلك كله كنت عنيدة متغطرسة مكابرة لا أقبل نصح الناصحين حين أشفق عليّ والديّ من سوء حالي ، وبت معروفة بسوء خُلقي ، لا أنسى كلمات أبي - والذي كان مشغولاً بشركاته وعقاراته وأمواله - عندما أخذ يوبخني ويصفني بالعقوق وقلة الحياء والأدب ، وقال : من سيفكر بالزواج من فتاة سيئة مثلك ، لقد جلبت لي العار ، لو لم يكن حرام عليّ لقتلتك ، ومع هذا كله كنت لا أبالي .

أما والدتي المسكينة فقد ملت وسئمت من كثرة توجيهاتها لي ، بل لم تترك سبيلاً في تقويم اعوجاج نفسي إلا وسلكته حتى دمعات أمي لم تشفع عند نفسي المتجبرة ، وزاد الأمر سوءاً بعدما انتهيت من المرحلة الثانوية ، وتخرجت بنسبة ضئيلة جداً بعد رسوب دام سنوات ، فلم تؤهلني تلك النسبة

---

(١) لقد ضيعتني يا أبي . لنوال بنت عبد الله « بتصرف واختصار » .



للالتحاق بأى كلية أو جامعة ، فمكثت فى المنزل ، وكان خبر مكوثى فى المنزل كالصاعقة لوالدي ، فمعنى ذلك أن الفراغ فى حياتى سيزداد وسأزداد تبعاً ، لذلك سوءً ، وهذا ما حصل بالفعل ، عكفت على الأغانى الماجنة والأفلام المقززة والمجلات الخليعة والروايات الهابطة حتى تخيلت نفسى راقصة أو مغنية مشهورة وتناسيت الحكمة التى لأجلها خلقنا الله فى هذه الدنيا .

وذات يوم وبينما أنا كعادتى أستمع لمزامير الشيطان وأترنح طرباً وأنا راقصة ، أردد الغناء الفاحش مع المطرب الذى سلبنى عقلى إذ بأختى الصغيرة مها ذات الأعوام السبعة تدخل علي غرفتى وتجلس وتنظر لشكلى المضحك ولحركاتى البهلوانية ، وقد اعترتها الدهشة بل والضحك ، فما كان منى إلا أن أغلقت المسجل وصرخت فى وجهها : ماذا تريدين ؟ قالت مها الصغيرة بكل خوف وتلعثم – فهى تعرف مدى قوتى وبطشى – : أريد أن أجلس معك ... إنى خائفة ... حدثينى بقصة فليس فى البيت أحد سوانا والخادمة ، هيا معى لنخرج للحديقة فإنى أحس بالحزن والكآبة ، ازددت غيظاً وحِنقاً وقلت لها بصوت دوى فى الأرجاء بعد أن فتحت باب غرفتى : أغربى عن وجهى ... اذهبى إلى الخادمة والعبى معها ، لا أريد أحداً عندى ... هل تفهمين ، استسلمت الصغيرة لأوامرى المتعجرفة وانسحبت باكية .. ومازلت أصرخ كالمجنونة « العبي بعيداً ، ولا تأتى مرة أخرى إلى هنا ... هل تسمعين ، وعدت إلى عفنى وأشرطتى واستكملت الغناء والرقص والطرب ، ولكن شعور غريب يخالجنى ... فراغ كبير أحس به فى داخل نفسى ، نظرت إلى ساعة الغرفة ، إنها الخامسة مساء ... الوقت مناسب لسماعتى الحبيبة ومغامراتى الحلوة مع فلان وعلان ، إننى أريد التسلية فقط ، فالحياة هكذا لا تُطاق ، فكرت فى تأجيل هذه المغامرات التليفونية إلى منتصف الليل ، فهو أنسب الأوقات لي

حتى لا يفتضح أمرى ، حدثت نفسى : لماذا لا أخرج إلى حديقة المنزل لعل فى ذلك ترويحاً عن نفسى ، وبالفعل توجهت إلى الحديقة ، وأحسست بالحزن ، والاكتئاب يتسلل إلى قلبى ، ولكن لا أدرى لماذا ، ومع اقترابى من المسبح بدأ المنظر مرعباً ، فما راعنى إلا هول المصيبة وعظيم الفاجعة .. !! .

إنها أختى الصغيرة البريئة مغمورة فى مياه المسبح الضخم ، لقد غرقت فيه فهى لا تعرف السباحة مثلنا ... سرت رعشة فى جسدى المتعب وبدأت أصرخ كالمجنونة وأنادى : مها ... مها ... ولكنها لا تجيب ... أتت الخادمة مسرعة مرعوبة من الصراخ والعويل ، انتشلناها من المسبح ، وبسرعة أخذت أحركها ... أهزها ... لعلها تتحرك ... لعلها تتكلم ... لعلها تتنفس ... أتحسس نبضات قلبها الصغير ولكنه لا ينبض ... ما زالت بعينيك يامها دمعة من تلك الدموع البريئة التى سالت منذ ساعة إثر صراخى فى وجهك ... وعلى ملامحك الهادئة مسحة من عتاب رقيق لى تعاتبنى ، حملتها بين ذراعى إلى داخل المنزل ، وفى تلك الأثناء هاتفت الخادمة والدي فأتيا مسرعين ، وأخذاها إلى المستشفى ، بينما كنت أمشى على غير هدى وأتخبط وأتعثر ، أرى فى صورتها وهيئتها صورة لغفلة كانت من حياتى قد تودى بحياة طفلة بريئة ... كنت أبكى وأدعو الله أن تعود أخيتى للحياة معافاة ، ولا أريد من متاع الدنيا شيئاً ، فالدنيا أمامى الآن هى أحقر شىء ... .

تذكرت أيامى السالفة الضائعة ... مر فى مخيلتى شريط حياتى البائس فى ظل الشيطان وحزبه ، جلست بجانب سماعة الهاتف ... أنتظر بفارغ الصبر قرار الطبيب فى حالة أختى ... كانت نبضات قلبى تدق وبسرعة ، أخذت ألوم نفسى وأوبخها ، ليتنى أذنت لها بالبقاء معى فى غرفتى ، ليتنى استمعت إلى ما تريده ، ليتنى لم أنتهرها ... ياترى أوَ كانت تريد أن تودعنى الوداع الأخير ؟

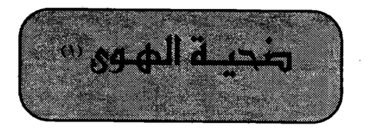
... لا ... لا ، ستعود مها نعم ستعود ، كم سأطير فرحاً إذا رأيتها ... سأضمها إلى صدرى ... سأقبلها ... سأشترى لها لعباً ... حلوى .. كل ما تريد ، ولكن عودى إليّ أيتها الحبيبة مها ... يقطع حبل أفكارى جرس الهاتف وهو يرن ... رفعته وبسرعة جنونية ... ومن هناك من المستشفى .. عزاؤكم جميعاً فى تلك الطفلة البريئة ... لقد تسرب الماء إلى جوفها بكثرة نتيجة مكوثها أكثر من ساعة تحته ... مع تسلل هذه العبارات إلى أذنى ووصولها مباشرة إلى قلبى لم أشعر بما حولي ، فقد سقطت مغمياً عليّ ... لقد دوت صرخات قوية داخل نفسى المشتعلة لا أدرى بعدها ما الذى حصل ... وماذا جرى ؟! ، شيئ واحد أدركته بأن ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] بعدها أفقت من إغماءتى ، وقبل ذلك أفقت من غفلتى وسباتى ...

سمعت أبى يقول : لقد تركناها فى المنزل بصحبة هذه ... فأكملت أنا بدلاً منه : هذه الضائعة التافهة ... عدت إلى غرفتى أبكى أختى ... وأندب تخاذلى ..و أصرخ من ضياعى ... أنادى بالله عليكم لا تجمعوا عليّ بين عذاب القوم ومرارة اللوم ... ارحمونى فإنى ضائعة ... إنى أرى خيالك يداعب جنونى ... أرى صورتك أمامى تصاحبك براءتك ونظراتك الجميلة ... مرحك ... دعابتك ... كم مرة انتهرتك .. كم مرة قسوت عليك بدون سبب .. أوه كم هى رخيصة حياة العبث والمجون والهوى ... رأيت أمى أمامى باكية ، فقلت لها : لماذا تبكين أيتها الأم الحزينة ؟ ، أتبكين رحيل ابنتك البريئة الحبيبة ؟! أم تبكين وترثين حال ابنتك الضائعة المكلومة – وليس لك من البنات سوانا – كفكفى دموعك يا أمى ، ففى جنبى لوعة لو أخرجتها لفجّرت ما أمامى .

وأفقت من غفلتى الطويلة بعدما رأيت الموت بعينى ، لقد أشرق قلبى بنور

الإيمان بعد حياة الضياع والضلال ... بعدها تحاملت على نفسى المنهكة وأخذت ما كان عندى من عفن فى غرفتى وعلى مرأى من الجميع قذفت به بعيداً إلى غير رجعة بإذن الله ، وتحاملت على نفسى مرة أخرى وذهبت وتوضأت ثم كبرت مصلية لله تعالى ، وعندما شرعت فى الصلاة بكيت كثيراً ، بكيت لأيام سالفة من حياتى ...وبكيت أكثر عندما تذكرت أختى الحبيبة ودعوت الله أن تكون فرطنا إلى الجنة .





ضحية الهوى [1]

كان عادل يتربع على قمة الميوعة والتخنث والتهتك ، فما عاد يفكر بعقله بل جل تفكيره منحصر فى ملذاته وشهواته ، وعن طريق الهاتف وجد صيداً ثميناً ، إنها رباب الطالبة الجامعية التى استسلمت لكلماته الرقيقة وعباراته المعسولة فآمنت رباب بحبه ، ولم تقف على خفايا قلبه الذى يُكن الرذيلة ، وانقادت لكلامه الجميل الذى يمنيها فيه بعش الزوجية ، وتقابلا أكثر من مرة ، وكان عادل بدهائه وخبثة يُركبها معه فى سيارته بين الفينة والفينة حتى اطمأنت إليه ، وبعد فترة دعاها لمشاهدة عش الزوجية الذى يجهزه لها بعد الزواج ، وأخذها فى الصباح من أيام كليتها على أن يعيدها للكلية وقت الظهرة ، ووصل العشيقان إلى مقر الشقة ، وصعدت رباب إليها بخطى متقاربة وكأنها نعجة يسوقها الجزار إلى حتفها المحتوم ، وجلسا يتبادلان كلمات الحب، فلم تكن رباب ترتوى من معين الإيمان بل كانت خلواء من الإيمان ، وكان جمالها شؤماً عليها بعد أن مزقت من وجهها الحياء براثن الإثم ووقعا فى فاحشة الزنا ، ومضت دقائق بعد أن حصد عادل زرع الحب الأثم ، ثم قال لخليلته : سأخرج لغرض هام وسأعود إليك سريعاً فلا تقلقى ، فأمسكت رباب بيده وقالت : لا تتأخر عنى فإنى أريد الرجوع إلى الكلية قبل موعد مجئ والدي فى الظهيرة ....

وهنا حدث ما لم يتوقعه عادل ، حيث ركب سيارته الفخمة وانطلق مسرعاً

---

(١) بتصرف واختصار من « مأساة جمانة » ليوسف العجيلى .

فاصطدم بسيارة أحد السائقين فى طريقه ، وحضر رجال المرور وصرخ أحدهم مخاطباً عادل ، ما هذه السرعة الجنونية ، ثم أمر بحجزه فى السجن حتى ينظر فى أمره ، وانتظرت رباب حضور عادل كثيراً ، واحتارت فى أمرها وخاصة أن والدها سيأخذها من أمام الكلية ليعيدها معه ، فما الحل ؟ وهى لا تملك مفتاحاً للشقة المغلقة عليها ، وماذا تفعل لو عرف والدها ، فلا شك أنه سيمزقها إرباً ...

وظلت تدور فى أرجاء الشقة تريد مخرجاً ، ولم تجد سوى أن تدفن وجهها فى كفيها وتبكى بكاءً مراً ، أما عادل فقد استأذن من رجال المرور فى الاتصال ولو لبرهة قصيرة حيث اتصل بصديقه الحميم حامد حيث حكى له ما حصل مع عشيقته وأوصاه بالذهاب سريعاً لإنقاذها ، وتوصيلها للكلية قبل أن يعرف والدها ما حدث وتكون مصيبة وفضيحة ، وكان مع حامد مفتاح لهذه الشقة ، حيث كان يشارك عادل فيها لهوه وفجوره ، وقرع حامد الباب قرعات خفيفة ثم فتح الباب ودفعه ، فرأت رباب من خلف دموعها شقيقها الأكبر حامد ماثلاً أمامها فزاغ بصرها وارتعدت من الخوف أمام جحوظ عين شقيقها وذهوله وصراخه : ماذا فعلت يا أيتها البغى الفاجرة بشرفنا وكرامتنا ؟ ، ثم جذبها من شعرها ودفعها بقوة حتى سقطت على عظام رأسها ، فقامت وجثت بين يديه ضارعة متوسلة ، والدموع تبلل وجهها وتقول : الرحمة ، المغفرة يا حامد ، أعاهدك بأنى لن أعود لمثل هذا ما حييت ، فرد عليها والدماء محقنة فى وجهه ، إن موتك خير لنا من بقائك تذلين جباهنا بعارك يا فاجرة ، ورفع السكين وظل يغرسها فى صدرها طعنات متتالية ليقتلها ويقتل حباً دنساً ، وهى تصرخ صرخات تفتت الأكباد حتى سقطت جثة هادمة مخضبة بالدماء ، وكانت نهاية سيئة للعشق الحرام !! .

خادم أم خادمة ؟! (١)

بعد انتظار دام زماناً قدمت الخادمة من الفلبين .. غمرت الفرحة جميع أفراد العائلة الثرية .. رحب بها الجميع وبدأت أعمالها بعدما تعرفت على جميع أفراد الأسرة ، وجالت فى البيت تتأمل غرفه وأروقته .. .

تحدثت ربة البيت مع أخواتها وجاراتها وصديقاتها عبر الهاتف لتزف لهن البشرى بقدوم الخادمة الفلبينية الجميلة ، تفانت الخادمة فى عملها ، وقدمت كل جهدها ، ونالت إعجاب الجميع .

شعرت ربة المنزل براحة عندما كانت الخادمة تمسك بيدها ، أو تحسس رأسها أثناء المرض ، أو تمشط لها شعرها .. .

اكتشفت فيها مهارة جديدة .. علمت أنها تجيد التدليك .. طلبت منها أن تدلك لها جسدها .. لم تمانع الخادمة .. بل رحبت بذلك أيما ترحيب .

كانت تشعر ربة المنزل بالسرور أثناء التدليك .. ذكرت ذلك لزوجها ومدحت قدرة الخادمة وأسلوبها العجيب فى التدليك .. طلبت من زوجها أن يجرب .. نعم طلبت منه ذلك دون أن تشعر بالحرج لكون الخادمة أنثى .. ووافق الزوج بعد تردد .. وتكرر ذلك مراراً .. وصار يشعر بلذة أثناء التدليك .. وجعل الشيطان يقربه أكثر فأكثر من الخادمة .. أخذ يلاطفها ويلاعبها ويتودد إليها .. ثم بدأت الوساوس تشتد أكثر فأكثر .. شعر بهاجس يدعوه لفعل

---

(١) حوادث واقعية للحميدى .

الفاحشة أخذ يتحين الفرصة .. .

وفي يوم من الأيام وبعدما أوصل عائلته لبيت أحد أقربائه ، عاد إلى البيت مسرعاً فرحاً بما سيفعل من المنكر العظيم .. ودخل المنزل وقد أعمى الشيطان قلبه .. وهرع نحو الخادمة وطلب منها أن تقوم بتدليكه .. لم تمانع الخادمة .. اقترب منها وطلب أن تمكنه من نفسها .. رفضت بشدة .. حاولت الهرب .. أمسك بها .. دفعته وحاولت التفلت من بين يديه .. جعل يجردها من ملابسها نظر إليها ...

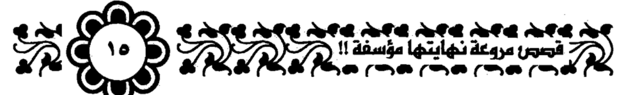
يا للهول .. ماذا أرى ؟!! .

كانت المفاجأة مذهلة .. إنها رجلٌ وليست امرأة .. وامصيبتاه .. ماذا أفعل ؟ ، شعر الرجل بخجله من نفسه .. تذكر كيف كان هذا الرجل يدلك جسد زوجته .. مجنون أنا .. كيف قبلت بهذا ؟؟ .

تصبب العرق من جبينه .. ضاقت عليه الأرض بما رحبت .. لابد أن أتخلص منه .. وسارع إلى مكتب لتسفير الخادمة التى تبين أنها رجل ، وسلمه الخادمة وطلب منه أن يقوم بتسفيرها بأسرع وقتٍ ممكن .

تمتم بكلمات ... ترى كم رجل فى بيوت المسلمين بزي امرأة ؟!!! .





قصة لاعقة الدم[1]

لم يكن ما أرويه من نسج الخيال ، وإن من الواقع ما يفوق الخيال !!!

الظلام يكاد يخيم على الكون ، وقد بدت فى كبد السماء سحابات بيض تتناثر هنا وهناك كأكفان منشورة للموتى ... الثلوج تسّاقط وتغمر العشب الأصفر ، وتبدو أوراق السرو من خلالها كرماح تطعن أو كإبر تخز فى الأجساد.

الآليات تتحرك بقضّها وقضيضها بين الوديان الضيقة وترفع الجبال إلى جوارها ، وكأنها تشير للأراضى من حولها أن القوة تعلو ، وأن الضعيف يجب أن يهان ويُداس .. وكانت الحجارة تتحطم تحت عجلاتها ، الطريق مفتوح أمامها ولا أحد يقاومها ، وقد وقف رئيسها يؤشر بين الفينة والأخرى إلى الجهة التى تريد ... .

لما وصل إلى مبتغاه أوقف المجنزرة المتقدمة وأعطى تعليماته .. وحُملت القذائف النارية وكان الرجال ينوءون بثقلها وهم يصعدون بها هضبة محفوفة بالأشواك والصخور ... لقد كانت القذيفة الواحدة تزن مئة كيلوجرام ... ويالهول من ترمى عليه ... وجاءت الأوامر وانطلقت القذائف .. ودوّت الأصوات وتصاعدت النيران فى كبد السماء .. وتعالى الدخان الأسود فى عباب الفضاء ليصفع أعالى الجبال بضرباته الموجعات .. وكانت القذائف الأرضية

---

(١) « قدر أم حذر » لزينت جلكي .

تترى كوابل من السماء ، أو كحمم تندلع من براكين ثائرة ... وكانت الطائرات تقصف من السماء المنازل القابعة على الأرض فتحوّل إيبضاض ثلجها إلى دموع باكية ممزوجة بحمرة دمها .

لقد ارتجت الأرض كما دوّت السماء وتطايرت الحجارة ، وتحوّلت الأبنية الشاهقات إلى دمار ، بل ركام ، وتهاوى الجسر الذى كان الممر الوحيد لأهل القرية وتطايرت من فوقه جثث الناس الهاربين وتناثرت هنا وهناك ... وتقاذفت الرؤوس ، واندلقت الأحشاء على الأرضى ، وتراكض الناس الذين لم يعتلوا الجسر وتصايح النساء والأطفال ... والتهمت النيران منازلهم كوحش فغر فاه وهو ينقض على الفريسة ..

كان منظراً لا أنساه ما حييت ... منظراً يشيب من هوله الصغار وتذهل فيه الأم عن وِلدانها ، وكأن الناس فيه سكارى وما هم بسكارى ولكن الموقف عسير والحدث أليم ... ولقد زاد الطين بلّةً انتشار جنود النصارى هنا وهناك ليتلقّطوا الصغار والنساء ، وليرموا الرجال بوابل من الرصاص ، أو يأسروهم فيرسفوا تحت ذل القيود والعار .

وانتهكت الحرمات ..و ودِيْسَتِ الكرامات ... وأُهينت العبادات ... وقالت امرأة مسلمة لأختها ؟

● أين أسلحة المسلمين تدمر هذا الطغيان المبين ؟ .

فأجابتها أختها والقلب يكاد يتفطّر من الألم :

● ألم تعلمى جناية الأمم المتحدة ؟ لقد سحبت الأسلحة من المسلمين بحجة السلام !! .

● وأى سلام هذا ؟ .. يا ويلهم ... بل ياويلنا إن كنا عنهم غافلين .

● إن كنا عنهم غافلين ؟!! ... أتشكّين فى غفلتنا يا أخت ؟ فلِمَ استولى الصرب على مخازن الأسلحة إذاً ؟ ، أليس هذا لأننا أغبياء ؟ .

● لا تقولى أغبياء ، بل قولي خونة أو مجاذيب .. !!

● هذا هو الواقع ... ومع ذلك لم يتحرك المسلمون ، إنهم غثاء كغثاء السيل ...

وقطع حديث المرأتين مقدم جند الصرب ... وساق هؤلاء النساء إلى مخزن القرية ، والرجال إلى مرابط الحيوانات !! ..

وجاءت فئة من الوحوش البشرية ففعلت الأعاجيب ، وقال قائل منهم لصاحبه الصربى :

● اقطع أنوف هؤلاء الرجال .

● أجابه جندى : بل نقطع آذانهم ونجعلها قلادة من لحم تشهد ببطولتنا .

● إذن اقطع آذانهم وأنوفهم معاً ، وكذلك أصابعهم فهى تزين القلادة أكثر ، وضحك القائل وقائده .. ونادبا آخرين ، وبدأوا بصنع القلادة اللحمية .

وكان الرجال يتصايحون ويئنون ، وجاء آخر لم يرض فعلهم لخفته بزعمه !! وزاد فى النكال والتعذيب ، وأمر بأن تنتف لحى المسلمين بمقراض من حديد يصلح للخشب لا للحوم !! .

وحانت منه التفاتة إلى شاب ملتح ، فقال له وهو يحدّق به :

● أأنت عمر شيخ المسجد ؟ .

● نعم .

● والله لأنتقمنّ منك شر انتقام ، ولأؤدبنّك شر تأديب ، وسكت قليلاً

وهو ينظر إلى عمر شيخ المسجد نظرة الحاقد الحانق ، ثم قال لجندى :

● اسلخ لحم وجهه وهو حى لئلا تنبت لحيته ثانية ، بل اقتله ونرتاح منه ومن تحريضه للمسلمين .

● أترحمه وقد رفع السلاح فى وجهنا وحرّض علينا ؟ ...

● أأرحمه ؟ ... ومتى كان القتل رحمة ياسيدى ؟ .

● سترى متى يكون القتل رحمة ... وأردف : التعذيب قبل القتل أشد إيلاماً وإهانة ، وسكت قليلاً ثم قال بصوت الغاضب الثائر :

● لأعذبنه وأمه عذاباً لم يُعذّبْه أحد من العالمين .

● أو تعرف أمه ؟ .

● نعم إنها لِيْنة بنت عبد الله ، اذهب إلى النساء ونادِ اسمها وأحضرها .

● وذهب الرجل إلى حيث أمره قائده ، والتقى هنا بوحش صربى فقال له :

● ذهب النساء إلى الرياضة !! .

وما أدراك ما هذه الرياضة ، تجتمع لها النساء فى الساحة عاريات ، ويُعلق فيها بعضهن من أعناقهن ، وأخريات يتدلّين على أغصان الشجر كذبيحة بعد سلخها ، وثالثات يعلقن من شعورهن و ذهب الجندى الصربى .. وكان بعضهن لا يزال يصرخ ويستغيث ، وقال الرجل :

● من لينة بنت عبد الله ؟ .

● فقالت عجوز يكاد صوتها ينقطع من شدة الألم : أنا ، وحسبت المسكينة أنها ستنال بعض الرحمة لكبر سنها ، وأُخذت منهكة القوى ، وقال آخذها وهو يشبعها فى طريقه ضرباً وركلاً وتأنيباً :

● أنت أم عمر ؟ .

● نعم .

● حقيرة وأم حقير .

● ولِمَ تقول لي هذا ؟ .

● سترين الآن جزاء عملك ..

سكتت المسكينة وحدَّثت أنها لن تُرحم كما كانت ترجو أو تتمنى ، وجاءت إلى رئيس العصابة المجرمة فقال لها :

● أأنت أم عمر ؟ .

● نعم .

● سترين الآن مكانتك عندنا .. ثم التفت إلى الجندى وقال له :

● أطعمها ما تحب ... وجاء الجندى بعصا وبدأ يضربها الضرب الأليم ، وصرخت المسكينة تحت وطأة التعذيب ونادت :

● يا الله .

● فأجابها الصربى الحاقد : اخسئى ولا تنادى ..

وتفوه بكلمة الكفر ... و ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ۝٥ ﴾ [الكهف : ٥] .

● وأجابته العجوز المسكينة : لعنكم الله لعنته لإبليس ...

● فقال لها : ألي تقولين هذا ؟ .

● وهل أبقيت لنفسك كرامة بعد أن قلت فى حق الله ما قلت ؟ .

● سترين الآن الكرامة ... ثم قال :

● أحضروا لها ابنها ..

● وكأنما كان للكلمة وقع غريب على سمعها فنادت : أحيٌّ هو ؟ أرونى إياه ... أرجوكم .

● الآن ترجيننا ؟ .

● أرجوكم أرونى إياه ، ثم افعلوا بى ما تشاؤون .

● اخرسى وسترينه الآن وستقـرّ عينك به .. وضحك ضحكـة الخبث والمكر ، ثم قال للجندى :

● أحضـر لهـا ابنهـا .. وجىء بالابن المعـذب مسلوخ الوجه فلمـا رأته صرخت بلا وعى :

● ابناه .. ما هذا المنظر الذى أراك به ؟ أين عيناك ... أين أنفك ... رباه ... ماذا أقول .. ياويلتى ... آه ... آه ... وأخذت فى البكاء .. وأخذ الصرب فى الضحك ، وقال لهم رئيسهم :

● هل آلمك رؤيا ابنك هكذا .. إنه جـزاء وفـاق .. لقـد قـتل أخى فى الأسبوع الماضى .. وها هو الآن يلقى مصيره وعقابه .. ثم التفت إلى الجندى وقال له :

● نادِ الجزار ليسلخ جلده ..

● فقالت الأم وقد أحست أنها تكاد تجنّ من هول ما ترى وما تسمع :

● ارحمـوه .. اقتلوه .. لا تعذبوه .. اقتلونى قبله .. رباه .. يا الله .. ماذا جنت يد المسلمين .

فقال عمر لأمه :

● اصبرى يا أمّهْ ، فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ الٓمٓ ① أَحَسِبَ النَّاسُ

أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) ﴾ [العنكبوت : ١ - ٣] .

● أإلى هذا الحدّ تصل الوحشية البشرية ؟ .

● سينتقم الله منهم يوم القيامة بملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

وجاء الجزار ، وسلخ الجلد بين نشيج الأم وصراخ المعذب وارتفعت الأصوات إلى السماء .. وأدخل صاحبها الجنة ...

وقالت الأم :

● رباه .. إن ابنى تحمّل ما لم يتحمله أصحاب الأخدود فاجعله من سكان الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين .

وقال الرئيس الصربى لأمه :

● تقدمى إلى ابنك والعقى دمه .. وكأنما كانت كلمته مسّ كهرباء طرق مسامع الأم الثكلى ، فقالت وهى تتراجع كالمجنونة : لا .. لا .. .

ولكن الضابط الصربى ألح وقال لها بحدةٍ :

● العقى دمه وإلا ...

● كيف ألعق دمه .. لا .. لا ..

● سأضعك على الخازوق ..

● أريحونى بالموت .. اقتلونى .. لا حاجة لي بالحياة بعده ، أنتم قتلة مجرمون ، سفاكون ..

● نعم نحن قتلة ، وأنت ... وسكت قليلاً ثم قال :

● لاعقة الدم .. وضحك ضحكة المنتقم يحظى بفريسته فأجابته بحدة :

● لن ألعق دم ابنى مهما حاولتم .

● إذاً أحضر الخازوق الكهربائى ..

● رباه .. رباه .. ما أفعل ..

● تقدمى ونفذى الأوامر ..

وجذبها جندى صربى من شعرها ، وأكبها على وجه ابنها ، ومسَّ فمها لحمه وجلده .. وإن صراخها ليتعالى فى كبد السماء ..

وقال لها الجندى ، وقد أزعجه صراخها ونشيجها :

● اسكتى وإلا !! ..

وقال آخر :

● اقتلوها شر قتله !! ..

وأردف : خذوها إلى حظيرة الأطفال ، ليراها الصغار فيرتاعوا .. وسحبت .. وسحب ابنها معها .. وكان جثة هامدة .. ولما رأى الصغار منظر الرجل وأمه تعالى صراخ بعضهم وعويله ، ووجم آخرون ونادى فتى من بينهم كان قد تجاوز العاشرة من عمره ؛ والدموع تنسكب من عينيه :

● جدتى .. أهذا أبى ؟ من فعل به هذا ؟!! ..

● نعم إنه أبوك يا محمد ..

● ولِمَ فعلوا به هكذا ؟! .

● لأنه مسلم يجاهد الكفار ..

وكانت هذه آخر كلمة فاهت بها المسكينة ، إذ أطلق عليها الوحش

الصربى الرصاص ، فارتجفت أعضاؤها واختلجت .. ثم سكنت وهدأت .. وقالت وهى تلفظ أنفاسها الأخيرة :

● لا إله إلا الله محمد رسول الله ، اللهم انتقم من الكفرة الفجرة الظالمين ، وانفجر حفيدها بالبكاء ، وتعالت أصوات الصغار ، وذهل بعضهم وضحك آخرون ضحكة المجنون .. لقد فقد كثير منهم عقله من هول المصاب !! ..

وجاء الوحش الصربى إلى محمد وقال له :

● أأنت جائع يا صغيرى ؟ .

فأجابه :

● لا اتركنى .. لا أريد طعامكم .. أريد أمى .. لقد قتلتم أبى وجدتى ..

● إذا كنت تحب أباك حباً جماً فخذ قطعة من لحمه وإنها لطعام لذيذ ..

نظر الفتى إلى الصربى المجرم وقال له :

● أآكل لحم أبى .. أمجنون أنت ؟! ..

● إذا ستأكله قسراً عنك ..

● لا .. لا .. أنتم وحوش وليس فى قلوبكم ذرة من رحمة .

فقال الصربى :

● اخرس يا فتى .. ثم التفت إلى جندى وقال له :

● عمّش عينيه باللاصق لئلا يبصر النور أبداً ..

ثم قال للفتى المسكين :

● وستذهب الآن مع رفاقك إلى الكنيسة لتنال شرف الانتساب إلى



النصرانية ..

● لا .. أنتم كفرة ، ولا شرف لكم ، أنتم قتلة مجرمون ، ولا رحمة فى قلوبكم ..

وجيئ بسيارة .. وشحنت الأولاد .. وأخذ الصغار إلى الكنيسة .. وقال محمد بن عمر لمن حاول أن يجبره على الصعود إلى السيارة :

● لقد فتح عمر بن الخطاب القدس ، وسأكون أنا فى جيش فاتحى روما وسأقتلكم .

وما إن أتم الصغير كلمته حتى طعنه جندى صربى وهو يقول له :

● لسنا بحاجة إلى نصرانى متأسلم .

وانفجر الدم ذكياً .. وارتمى على الأرض قبل أن تخطو السيارة خطوتها الأولى ..

وسجل التاريخ صفحة من صفحات جرائم الصليبية ، فاقت فى وحشيتها فظائع محاكم التفتيش فى أواخر عهد المسلمين بالأندلس السليب [١] .



---

(١) ولقد أحسن القائل :

ملكنا فكان العدل منا سجية ... فلما ملكتم سال بالدم أبطحُ

فكفى هذا التفاوت بيننا ... وكل إناءٍ بالذى فيه ينضح



مأساة مروعة [الحمو الموت] (١)

كان يكد ويشقى الليل مع النهار لتلك المرأة التى اقترن بها ، وزيادة على ذلك التعب الصباحى وبعد أن كثر أولاده ، اضطر للعمل على سيارة أجرة يزيد بها من دخله ، وفى أحد الأيام وهو فى كده وتعبه فى سيارة الأجرة وقريباً من المغرب ، وإذا بامرأة من الجنسية الأسيوية تستوقفه لإيصالها إلى المستشفى فلما علم موظفو المستشفى أن حالتها صعبة جداً أخذوا منه رقم هاتفه ، وبعد ساعات اتصلوا به يطلبون حضوره حالاً ، فلما سألهم عن السبب ، قالوا : إن زوجته قد ولدت طفلاً ، فرد عليهم بغضب : زوجتى معى الآن فى البيت وليس عندى غيرها ، قالوا : المهم حضورك فوراً ، فلما وصل إلى إدارة المستشفى قال : ما هذه النكتة البايخة ، التى أطلقتموها عليّ ؟ الحمد لله أن زوجتى لم تسمعكم ولو سمعتكم لقامت قيامتى فى البيت ، فقالوا : لم نطلق نكتة حتى تصبح بايخة ، فالمرأة التى أوصلتها لما سألناها من زوجك أبو هذا الطفل ؟ قالت : صاحب السيارة الأجرة التى أوصلنى ، فقال : أعوذ بالله من غضب الله ، ما هذا الافتراء ؟ صحيح أن « المصائب تأتيك وأنت نائم » فأراد أن يصحح هذا الاتهام ويخرج منه فطلب منهم أخذ عينة من دمه ودم الطفل ، فلما قاموا بذلك وأثناء انتظاره للنتيجة ويده على قلبه يدعو ربه أن يخرجه من

---

(١) قال ﷺ : « إياكم والدخول على النساء ، فقال رجل يا رسول الله : أفرأيت الحمو ، قال : الحمو الموت » . الحمو : أخو الزوج أو أقاربه . رواه البخارى ومسلم عن عقبه بن عامر .

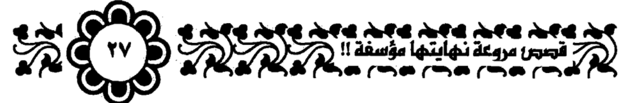
هذه الورطة ، وإذا بالطبيب يقول له : نأسف على أذيتك وانشغالك معنا ، فلا دمك يوافق دم الطفل ولا أنت تستطيع الإنجاب لأنك عقيم !! .

فقال الرجل : وهذه نكتة أبوخ من سابقتها ، فأنا متزوج من سنين وعندى من الأولاد ستة وتقولون إنى عقيم !! ، افحصوا مرة أخرى وشدد عليهم فى ذلك ، فأعادوا التحاليل وجاءه الطبيب مؤكداً على نتيجة الفحص الأول قائلاً : يا أخى أما قلت لك إنك عقيم لا تنجب ؟؟!! .

فخرج الرجل من مصيبة ودخل فى أخرى .. ولما قام بالتحقيق والمتابعة إذ بأخيه يعاشر زوجته طيلة تلك السنين ، وهو مؤتمن عليه فى ماله وأهله ، فاعترف الاثنان بجريمتهما البشعة المأساوية الشنيعة ، فكانت المرأة الأسيوية سبباً فى ذلك ، فلم يستطع الثلاثة الزوج والزوجة والأخ أن يفلتوا مما قدره الله وكتبه عليهم ، وصدق الله القائل : ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [إبراهيم : ٤٢] [(١)] .



(١) بتصرف من مجلة النور الكويتية « عدد ١٥٩ » .



الحقيقة المرة (١)

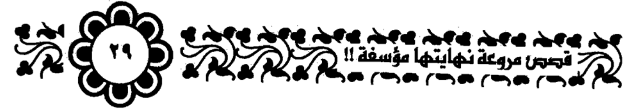
أمضت دارين قرابة خمس سنوات تحلم باليوم الذى ستصبح فيه أمّاً ، فكانت تدعو ربها وهى تبكى تسأله أن يرزقها بالولد الصالح ، وبعد فترة طويلة من الدعاء والعلاج لاحظت على نفسها تغيراً كبيراً، وشعرت بعوارض غريبة ، فأعلمت زوجها بالأمر الذى ذهب بها من الفور إلى الطبيب ، وبعد الفحص بشره الطبيب بأن زوجته حامل ، فلم تسعه الفرحة فذهب وبشر أمه وأمها وأهلها ، وتمت الأفراح والتباشير بحمل دارين بعد انتظار دام سنوات طويلة ، وبعد الشهر التاسع ولدت دارين بحمد الله ولداً أسمته محمداً ، ولكن كانت الولادة بعملية قيصرية وتعبت دارين بالولادة ، وكانت بعيدة عن أهلها فلم يكن لها من أحد يخدمها ، فطلبت من زوجها خادمة ، وكان بالحى امرأة كبيرة فقيرة الحال تخدم بالبيوت ، فأتى بها لتخدم زوجته ، وبعد أسبوع من خدمتها قالت المرأة لدارين : أرجو أن تسمحى أن آتى بابنتى كى تساعدنى لكبر سنى ، فلم تعترض دارين ، ومضى على وجود البنت والأم عشرون يوماً ، ثم صارت تأتى البنت وحدها ، وكان عمرها سبعة عشر عاماً وكانت جميلة ، وكانت تأتى وهى فى كامل زينتها ، فاستنكرت دارين ذلك وطلبت منها عدم المجئ ، فاعترض زوجها وقال : دعيها تخدمك إلى الأربعين وبعد ذلك تنهضى بالسلامة ، وطلب زوج دارين من الخادمة أن تنام فى البيت كى تكون قريبة

---

(١) عقد اللآلئ والعبر ، لمريم الفوزان « بتصرف واختصار » .

من دارين ، فوافقت البنت ، وبعد مُضى سبعة وثلاثين يوماً ، أصيبت دارين بحمى النفاس ، وفى الصباح الباكر ذهب زوجها دون أن يسأل عن زوجته أم محمد ويتفقدها مثل كل يوم ، وهى طول الليل ترتعد من الحمى والصغير يبكى .

وفى الصباح نادت على الخادمة جمالات فلم تسمعها فتحملت على نفسها ، وذهبت إلى الغرفة التى تنام بها الخادمة فلم تجدها ، فقالت فى نفسها لعلها تنظف فى الدور الثانى ، وصعدت الدرج وهى متعبة جداً ونادتها فلم تسمعها ، فقالت لعلها تنظف غرفة النوم ، فوجدت الباب مغلقاً وعندما فتحته وجدت الخادمة بملابس النوم على سريرها ، فصرخت بها ألا تستحى ، تنامى هكذا وبغرفة نومى وببيت رجل غريب فقالت لها : لا حظى على كلامك ولا تخطئ فهذا زوجى تزوجنى منذ أسبوع ، فحصل نقاش حاد ومضاربة بينهما ، وبعد ساعات حضر الزوج فوجد الخادمة جمالات والتى هى زوجته الثانية حاملة الصغير محمد على كتفها تهدئه ، فسألها عن دارين فقالت له جمالات إنها بالطابق العلوى ، فصعد إليها وهو ينادى أم حمودى ، وعندما وصل إلى الغرفة وجدها ملقاة على الأرض يتدفق من بطنها دم غزير ، ويد باب الغرقة ملطخ بالدم ، فصرخ فى ذهول وحملها بين يديه وهو مذهل من المنظر ، ورجع وهو يصرخ جمالات تعالى ، وعندما حضرت وشاهدت دارين بهذه الصورة صارت تصرخ وتولول ، وقالت : لزوجها : إننى نصحتها بأن لا تصعد للطابق العلوى ولكنها رفضت ، وأكيد أنها تعبت ووقعت على الباب وحدث لها ذلك وهجمت عليها وهى تقول : أم محمد ، أم محمد ، وبعد ذلك نقلها زوجها للمستشفى وأخبره الطبيب بأنها توفيت وسأله الطبيب كيف توفيت فقال أبو محمد : إنها وقعت على يد الباب ودخلت يد الباب بشق العملية ببطنها ،



فقال الطبيب : أيوجد عندها أحد ، قال زوجها : لا غير صغرها محمد ، فسُجل الحادث قضاء وقدراً ، ودفنت دارين ، ودفن السر معها .

وبعد دفنها بثلاثة أيام أرسل أبو محمد إلى أخواتها وأعلمهم بوفاتها ، وكانت دارين يتيمة الأب ، ولما علمت والدتها قالت لولدها يجب أن نذهب ونأخذ الصغير محمداً ونربيه ، ولنرى كيف توفيت ابنتى ، وعندما وصلوا رحب بهم أبو محمد ، ووجدوا فى البيت هذه البنت « جمالات » سألت أم دارين من هذه البنت ،فقال لها أبو محمد : إنها زوجتى تزوجتها فى حياة دارين ، فشكت الأم بموت ابنتها قضاءً وقدراً بعد أن سمعت بالحكاية من أبى محمد ، وقالت : لا يا أبا محمد وهى تلتفت إلى زوجته جمالات وتقول : اسمع يا أبا محمد إذا كانت الحقيقة اختفت عن المخلوق فلن تختفى على الخالق ، فلم يُعرها أبو محمد أى اهتمام ، وقال : كل إنسان يأخذ نصيبه ، وأراد أبو محمد أن يقوم بواجب الضيافة ولكن أم دارين وولدها رفضا ذلك وطلبا منه ولده محمداً لكى تربيه والدة دارين ، فلم يعترض أبوه بل رحب بذلك وقال لهم : سوف يأتيكم مصروفه فى أول كل شهر ، فرد خاله وقال : إنه مثل ولدى ولن يضيق به بيتى ورزقه على الله فلا ترسل شيئاً ، فشكرهم أبو محمد وسافرت الجدة والخال بالولد ، وبقيت جمالات بهذه الڤيلا الواسعة واستمتعت بهذه النعمة بعد الفقر ، وأصلحت من حال أهلها .

ومرت السنون وجمالات من حسن إلى أحسن ، وكل سنة تنجب ولداً حتى أصبح عندها ثمانية أولاد وثلاث بنات ، وهى تزداد جمالاً ، ومرت السنوات وهى تحس كأنها فى حلم جميل ، وطلبت من زوجها يوماً أن يذهبوا إلى أحد المصايف ، فرحب زوجها ، وتجهز الجميع للرحلة والفسحة وذهبوا فرحين ، وعند منحدر بالطريق اصطدمت سيارتهم بشاحنة كبيرة ، فانقلبت

بهم السيارة ولم ينجُ من الحادث إلا جمالات وولدها الكبير ، حيث أصيبت بكسور شديد بالحوض ، وأصيب ولدها بكسور طفيفة ، وعندما أفاقت جمالات من الحادث وعرفت بوفاة زوجها وأولادها إلا واحداً سقطت مغشياً عليها ، وأصيبت بالشلل النصفى وبقيت ثلاث سنوات بالمستشفى ، بينما خرج ولدها بعد شهرين ، ومرت عليها الأيام وكأنها جبل ثقيل فقد خرجت من المستشفى بعد هذه السنوات وهى على كرسى متحرك ، وهى مقعدة ، وجاء ولدها ليأخذها وفى طريق حضوره إليها انقلبت به السيارة فتوفى فى الحال ، وعندما عرفت جمالات بالأمر صُرعت من هول الفجيعة ، وبقيت وحيدة فى هذه الدنيا ، واتصلت إدارة المستشفى بأهلها بالمدينة التى يقطنون بها فجاء أبوها وأخوها واستلموها .

وحضر محمد ابن زوجها وحصل على إرثه من أبيه ، وكانت معه جدته أم دارين ، ولما رأتها جمالات بكت وقالت : أتذكرين يا خالة قولتك : « إذا الحقيقة اختفت عن المخلوق فلن تختفى عن الخالق » ، فقالت : نعم ، فقالت جمالات : سامحينى أنا التى قتلت دارين ، فعندما صعدت دارين للدور العلوى كانت ترتعد من السخونة والحمى وفتحت عليّ الباب فتعاركنا وبحكم أنها مريضة لم تقدر أن تقاومنى فانتهزت أن عمليتها لم تلتئم بعد فضغطها على يد الباب ، فانفجرت العملية وارتمت على الأرض وعندما تأكدت من وفاتها نزلت إلى الصغير محمد واحتضنته وكأن شيئاً لم يكن ، ومرت السنون ، وها أنا ألقى جزاء فعلتى ، ولقد انتقم الله منى أشد الانتقام ، فقدت زوجى وفقدت أولادى جميعهم ، وفقدت شبابى وصحتى ، أما الآن فأرجوك سامحينى يا خالة .

فقالت لها أم دارين : حسبى الله ونعم الوكيل ، وقالت لها : هذا جزاء الدنيا وأدعوا الله أن يأخذ منك جزاء الآخرة وينتقم منك .

وبقيت جمالات عند أهلها ، وتوفى والدها وبقى لها أخوها وطلب وكالة على أموالها بحكم أنه الوصى عليها ، فأعطته الوكالة وعندما استلم كل شيء منها بدده على اللهو والملذات والملاهى ، ولم يهتم بأخته جمالات ، وهاجر خارج المدينة ، وبقيت هى رهينة الصدقات والحسنات عند أبناء الحلال حتى توفاها الله فى غرفتها وحيدة ، فلم يكتشف موتها إلا بخروج رائحة النتن من جثتها وتعفنها من غرفتها ، وبهذا ينال الظالم جزاءه فى الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى .



الإنسان الظلوم [1]

سافر التاجر الصالح إلى حلب للتجارة ، وكان ذلك قبل الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م ، وفى الطريق هطل ثلج كثير فسد الطرق ، فطرق باب أحد البيوت فلم تكن هناك فنادق يأوى إليها المسافرون ... لقد كان الغريب أو المسافر يطرق أى دار من دور المكان الذى يصل إليه ثم يحل ضيفاً بين ظهرانى أهله ينام كما ينامون ويتناول من طعامهم بدون أجر أو مقابل ، ففتح له الباب رب الدار فأخبره بأنه ضيف الله ، فرحب به صاحب الدار وأدخله وتجارته إلى صحن داره وقدم الطعام للضيف ، وكان صاحب الدار فقيراً معدوماً ، وكان متزوجاً وله ولد واحد فى العقد الثانى من عمره ، وكان فى داره غرفتان ، غرفة يأوى إليها هو وزوجته ، والأخرى لولده واجتمعت العائلة حول الضيف وعرف المضيف من خلال الحديث مع الضيف أنه يحمل مبلغاً من المال للتجارة ، وفى الهزيع الثانى من الليل أوى المضيف مع زوجه إلى غرفتهما وأوى الضيف إلى غرفة ولد المضيف ، فنام الولد على فراشه فى الزاوية اليمنى من الغرفة وأوى الضيف إلى فراشه فى الزاوية اليسرى من الغرفة .

وهمست الزوجة لزوجها : إلى متى نبقى فى فقر شديد ، هذا الضيف غنى ونحن فى أشد الحاجة إلى ماله وتجارته ، إننا مقبلون على مجاعة شديدة وسنموت فيها بدون ريب ، إن الفرصة اليوم سانحة ولن تعود ، هلم إلى الضيف

---

(١) عدالة السماء ، لمحمود شيت ، « بتصرف واختصار » .

فاسلبه ماله وخذ تجارته حتى تبقى على حياتنا وحياة ولدنا الوحيد ، وتردد الرجل ، وألحت المرأة وكان الشيطان ثالثهما وقالت : إن ما تفعله ضرورة لإنقاذنا من الموت الأكيد والضرورات تبيح المحظورات ، واقتنع الرجل أخيراً ، وعزم على قتل الضيف وسلب مالديه من مال وتجارة .

كان الوقت فى الثلث الأخير من الليل ، وقصد الرجل خنجره وشحذه ثم توجه ناحية غرفة الضيف وابنه ، ومن ورائه زوجه تشجعه ، ومشى رويداً رويداً واتجه شطر الزاوية اليسرى من الغرفة حيث يرقد الضيف وتحسس جسمه حتى تلمس رقبته ثم ذبحه كما يذبح الشاة .. وجاءت الزوجة وتعاونا على سحب الجثة الهامدة إلى خارج الغرفة .. حيث اكتشفا هناك أنهما ذبحا ابنهما الوحيد فشهق الرجل والمرأة شهقة عظيمة وسقطا مغشياً عليهما ، وعلى صوت الجلبة استيقظ الضيف واستيقظ الجيران ليجدا ابن الرجل قتيلاً ، وسارع الضيف والجيران بالماء البارد يرشونه على وجه الرجل وزوجته ، فلما أفاقا أخذ يبكيان بكاءً مراً ، وجاءت الشرطة .. وعرفت ما حدث ، لقد قام الابن إلى فراش الضيف بعد أن غادر أبوه الغرفة وأخذ الرجلان يتجاذبان أطراف الحديث وطال الحديث حتى نام الولد على فراش الضيف بعد أن غلبه النعاس ، ولم يشأ الضيف أن يوقظ ابن مضيفه فترك له فراشه بعد أن أحكم عليه الغطاء لبرودة الجو ثم أوى إلى فراش ابن المضيف فنام عليه .. وحين قَدِم المضيف إلى غرفة الضيف وابنه كان متأكداً من موضع فراش كل واحدٍ منهما فذبح ابنه وهو يريد الضيف ، ودفن الجيران الولد القتيل ، واستقر والده فى السجن [1] .

---

(١) وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِه ﴾ [فاطر : ٤٣] .

لهواة السفر المحرم
[خاتمة السوء] (١)

تحدث أحد الأخوة فى المسجد الذى أسكن بجواره وأقسم بالله أنه سمع هذه القصة من صاحبها الذى تحدثت معه يقول هذا الشاب التائب :

لقد منّ الله عليّ وأنقذنى من النار بعدما كان بينى وبينها إلا ذراع ، يقول : كنا ثلاثة أصدقاء اجتمعنا على معاصى الله وكان صاحبایّ يسافران كل عام إلى إحدى الدول ، وهناك كان يبارزان الله بجميع أنواع الفواحش من شرب الخمر ، وزنا ، وميسر ، وقمار ... إلخ ، وهذا العام أقنعانى بالسفر معهما وزينا لي السفر والفواحش ، فقررنا السفر بالسيارة هذا العام ، ليسهل علينا التحرك والاستمتاع إلى أقصى درجة ، وركبنا السيارة وقطعنا الكيلومترات حتى لم يعد إلا القليل ، وكنت أجلس فى الكرسى الخلفي وزملائى فى الكرسى الأمامى ، وفجأة وقعت عيناى على لوحة الطريق التى توضح المسافات بين المدن ، وكان ما أذهلنى « ١٥٠ كم على جهنم » يا الله قفزت من مقعدى وقلت لصاحباى : ألم تقرءا ، قال : ماذا ، قلت : يافطة الطريق مكتوب عليها ١٥٠ كم على جهنم ، فقال لي إنك مرهق وبحاجة إلى النوم ، وقالا لي بأن هذه تخيلات ، فسكت وبعد مسافة « ٥٠ كم جاءت اللوحة الثانية ، جاءت لينقذنى الله بها فاقرأت « ١٠٠ كم » على جهنم ، وهنا أخذت أقنع زميلى بضرورة الرجوع

---

(١) إجابة مسابقة الرواد الرابعة ، لإيهاب شكر .



والتوبة إلى الله ، وهذا تحذير ونذير من الله فلم يستجيبا لي .

وعند ذلك صممت على النزول من السيارة والرجوع فأنزلانى ، ومضيا وكانت الساعة الثالثة ليلاً أنتظر طويلاً على الطريق ما يقارب من الساعة ، وفجأة شاهدت شاحنة قادمة ، فحمدت الله ووقف لي السائق ، وركبت معه فلم يكلمنى ولكنه كان يردد « إنا لله وإنا إليه راجعون » ، فقلت له ما بك فقال : سيارة على الطريق المقابل اصطدمت واحترقت بمن فيها ، وحاولت مساعدتهما ولكن النار التهمتهما ، قلت له : ما لون هذه السيارة وكانت المفاجأة سيارة صديقىَّ ، وهنا أخذت أبكى وأحمد الله العلي القدير أن نجانى بفضله ورحمته وأقولها للشباب : عودوا إلى ربكم وتوبوا إلى بارئكم .

فاللهم ارحمنا وأحسن خاتمتنا . آمين ..



نهاية وبداية [(١)]

أراد الشاب الصالح حمزة أن يتزوج وفرحت والدته بذلك ، وخرجت تسأل جيرانها عن فتاة مناسبة لولدها حمزة ، وبعد البحث الحثيث والسعى الكثير أُرشدت إلى فتاة جميلة وسمعة أهلها حسنة ، فذهبت وشاهدت الفتاة فنالت إعجابها ، وسألتها عن المحافظة على الصلاة ، فقالت : أصلى أحياناً وأتركها أحياناً، ثم عادت إلى بيتها فرحة وقالت لولدها حمزة : وجدت لك فتاة جميلة وأرجو أن تكون لك زوجة ، فسألها حمزة عن تدينها فقالت : تصلى أحياناً ، وتترك الصلاة أحياناً ، فقال لها حمزة لا حاجة لي بها ، فإنى أريد زوجة ملتزمة تحافظ على الصلاة ، ولكن الأم – وقلبها معلق بالفتاة – لجمالها وحُسن حديثها قالت : ولدى يمكنك أن توجهها كما تريد ، وتدربها على الذى تحب ، وألحت عليه الأم ، وضغط عليه الوالد بشدة متأثراً بزوجته ، وبعد محاولات ومداولات اقتنع حمزة بقول والديه وحرص على إرضائهما وقال : لعل الفتاة تحافظ على الصلاة عندى بمتابعتها ونصحها وإرشادها وتمت الخطبة ، وعمت الفرحة ، واستأجر حمزة شقة بالدور الخامس وتم الزواج ...

ولم يشأ حمزة أن يكلم زوجته منذ اليوم الأول فى أمر الصلاة وليته فعل ذلك ، ولكنه أخر الموضوع أياماً ، وقال ربما تصلى بنفسها عندما ترانى أصلي ، ولكن ذلك لم يحدث فقد كان جل اهتمامها فى لباسها وزينتها ،

---

(١) وقائع أغرب من الخيال ، لعلي العثمان « بتصرف واختصار » .

فاضطر حمزة إلى مصارحتها بأمر الصلاة وضرورة المحافظة عليها وأنها عمود الدين وتاركها من الكافرين الغاوين ، وأتاها بأشرطة وكتب إسلامية ، ولكن الفتاة الحمقاء لم تستجب إلا قليلاً ، فكانت تصلى مرة وتتركها مرات ... وندم حمزة لزواجه من غادة ، وقال لنفسه : لقد أخطأت حين وافقت والدي ، وخالفت حديث النبى ﷺ : « فاظفر بذات الدين تربت يداك » واستمرت الحياة ما بين نصح وتوجيه يقابل بصد وإعراض من جهة غادة التى نشأت ضعيفة الإيمان شغوفة بزخرف الدنيا وزينتها على الرغم من أن الله تعالى أتم نعمه عليها وأكرمها بطفلين صغيرين جميلين كالقمر ليلة التمام .

وذات يوم كانت غادة تغسل فى المطبخ وقد أجلست ولديها بالقرب منها ، إذ توجهت إلى غرفة النوم لإحضار بعض الغسيل ، وبينما هى فى غرفة النوم والطفلان يلعبان فى المطبخ والغسالة الكبيرة شاغلة إذ وسوس الشيطان وأغرى الطفل الأكبر منهما وكان عمره سنتن ونصفاً أن يحمل أخاه الصغير الذى لا يجاوز الخمسة أشهر ، وأن يضعه فى الغسالة ليغسله فيها مع الثياب ، ونفذ الطفل هذه الفكرة ووضع أخاه الصغير فى الغسالة ، وسرعان ما غرق فيها وهى مليئة بالماء الساخن ، وما هى إلا دقائق معدودة حتى عادت الأم غادة إلى المطبخ فلم تجد إلا الطفل الكبير ، فقالت : أين أخوك ؟ فأشار ببراءة إلى الغسالة ، ونظرت برعب وإذا بالطفل قد فارق الحياة ، فأوقفت الغسالة وأخرجته وهو ميت وظلت تولول وتصيح وجرى الغضب فى عروقها وتوجهت نحو الطفل الكبير وقد طار لُبها وغاب رُشدها ، ووضعت يديها فى عنقه وظلت تضغط على رقبته وهى تصيح : كيف قتلت أخاك ، ماذا فعل حتى تضعه فى الغسالة وتنهى حياته ، وظلت تضغط على رقبته حتى فارق الحياة خنقاً وخوفاً ، ووقع على الأرض صريعاً بلا حراك ، وكانت مصيبة فأصبحت مُصيبتين ، وانهارت غادة

ووسوس لها الشيطان : لقد أصبحت حياتك جحيماً لا يُطاق وعذاباً أليماً وأى طعم للحياة بعد الطفلين الحبيبين ، وجعل يوسوس لها ويغريها بالانتحار حتى ألقت بنفسها من الشقة من الدور الخامس إلى الشارع فماتت فى الحال وأصبحت جثة هامدة ، وحضر الجيران والمارة ثم ألقوا عليها ثوباً يستر جثتها ، واتصلوا بزوجها حمزة وطلبوا إليه الحضور حالاً لضرورة ملحة ، فحضر وفوجئ بالزحام ، ونظر وفوجئ بزوجته جثة هامدة بلا حراك فذرفت عيناه وجعل يقول : الحمد لله على كل حال ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم آجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيراً منها ، ثم أمسك به الجيران وأبعدوه قليلاً عن الجثة الهامدة ، وسرعان ما تذكر حمزة طفليه وقال : ما حالهما بعد انتحار الأم ؟ وما الذى أغراها بالانتحار فى هذا النهار ؟ ثم صعد إلى شقته وبرفقته جاره وفتح الباب وإذا بمفاجأة أليمة مروعة لم تخطر على باله ، فقد وجد الطفلين ممدين فى المطبخ ، وقد فارقا الحياة ، فشهق شهقة شديدة ثم وقع مغشياً عليه من هول ما رأى ، ومن فظاعة ما شاهد ، واتصل الجار بالإسعاف العاجل لإنقاذ حمزة ...

ولماذهب عنه الإغماء قال : الحمد لله علىَ ما أعطى ، الحمد لله على ما أخذ ، الملك ملكك وكلنا عبيدك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .. إنا لله وإنا إليه راجعون ، وجلس يبكى مصيبته العظيمة ، فقد فقد زوجة وطفليه الحبيبين ، ولكن إيمانه راسخ بربه جعله صابراً أمام الأهوال راضياً بقضاء الله وقدره متذكراً أن الحياة دار بلاء واختبار وأنها ممر سريع إلى مقر الخلود .. وقرأ قول الله تعالى : ﴿ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾** ﴾ [البقرة : ١٥٥ ، ١٥٦] ، وسرعان ما اطمأن قلبه بذكر الله ونزلت عليه السكينة .

وبعد ذلك سعى حمزة لدفن الزوجة والطفلين بمعونة الأهل والجيران .. وماهى إلا أسابيع قليلة حتى أكرمه الله تعالى بزوجة جميلة وصالحة ذات خُلق ودين وأدب جمّ ، ولين جانب ، كما أن الله أكرمه بعدد من الأولاد الصالحين وعاش بنعمة من الله وفضل ، فازداد شكراً لله وطاعة له ، وكان حقاً كما قال رسـول الله ﷺ : « **عجبت لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذلك إلا للمؤمن ، إن أصابته نعماء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له** » [(١)] . صدق رسول الله ﷺ .



(١) رواه أحمد ومسلم عن صهيب بلفظ « **عجباً لأمر المؤمن** » الحديث (٣٩٨٠) صحيح الجامع .

قصة الطبق المشؤوم (١)

دخل عليّ يوماً ذلك الرجل ، رجل غير غريب كأنما مر فى ذاكرتى ، دخل عليّ مذهولاً ، كأنما يحمل هموم هذه الدنيا ، وقف بالباب وعرفنى بشخصه الكريم ، زميل فرقت بيننا الأيام ، رحبت به وكنت أظن أنه وصل زائراً بعد هذا الفراق الطويل ، حاولت أن أكرم الرجل ، لكن كأنما كان على عجل ، أنصت قليلاً وتنهد الأحزان من صدره ، ثم استسمحنى ليروي قصته التى جاء يحملها يقول :

كنت دائماً أسمع حديثاً يؤنب العصاة من سوء ما ارتكبوه ، حديث كنت أظن أنه يتجاوز الحقيقة ، حديث كان يُدار حول القنوات الفضائية وأثرها ، كنت أسمع ذلك فى المسجد فأنصت له كارهاً ، وأكثر من وهلة أوصلَ أولئك الأشخاص إلى يدى بضع ورقات ، أتصفحها فأجد فيها قصصاً وقعت لمقتنى القنوات ، أقرأ تلك الرسائل ونفسى تحدثنى أن هذا أشبه بالقصص الخرافية لا غير ، وكنت مع هذه الأخبار أتساءل : لماذا هؤلاء الأشخاص يحدثوننا هذا الحديث ؟ لماذا يحملون همّ بيتى وأسرتى ؟ أتساءل فلا أجد أقرب إلى الحديث من أنه غِيرة مصطنعة ، لا تملك رصيداً من الواقع ، ولذلك لم تقف هذه النصائح وهذه القصص فى طريق الشراء الذى عزمت عليه ، فحديث الصحب عن المباريات المشفّرة كان يدفعنى خطوات ، وقناة الجزيرة فى برنامجها وجهاً

---

(١) رسائل محب ، مشعل بن عبد العزيز الفلاحى .

لوجه تدفعنى خطوات أكبر ، وتشد من أزرى على الشراء ، وكل ذلك كان يؤجّجه حديث الزملاء فى العمل عن الأحداث فى الساحة ، كل هذه مجتمعة كانت تشدنى إلى الإقدام على هذا الشراء ، وكان حديث الناصحين يعرقل هذا الشراء من جهة ، ومن جهة أخرى كان مُسحة الحياء تؤجل هذا القرار فى نفسى ، لكن العوامل التى ذكرت سالفاً كانت لها الغلبة .

وفعلاً قدم الضيف المشؤوم ولسوء شؤمه أبى أن يطأ الأرض فاعتلى سطح منزلى المبارك ، فرآه المجتمع فهرولوا إليّ وخوفونى بربى ، ذكرونى بسوء العاقبة لكننى بقيت صامداً على ما عزمت وعاد المجتمع أفراداً وجماعات دون تحقيق نتيجة ، وبهذا النصر الموهوم الذى حققته على مجتمعى هنأنى أبنائى وزوجى ، ورأيت أن أقدمه هدية لهما على التهنئة .

مضت الأيام وكنت فى شوق إلى حديث المباريات وتلك القناة ، وكنت يومياً أرد على زملائى حديث ما وجدت ، فى الوقت ذاته كان هناك نهم فى نفسى أحببت أن أملأه ، لكننى أحسست منذ الأيام الأولى ثقلاً فى خطواتى إلى المسجد ، وكسلاً يتحمل جسدى ، ورغبة ملحة فى البقاء عند هذه القنوات ، ومرت الأيام ففقدت المسجد وأهله الأخيار ، بدأت تتلقفنى الأحزان وتنتابنى الهموم ، لكننى كابرت وأصررت على البقاء ، عدت أكره المتحدثين عن الخطر ولا أود أن أسمعهم ، كنت أرى أن هؤلاء أعداء للحرية لا غير ، مرت الأيام وأنا وأسرتى حول هذا الجهاز لا نكاد نفارقه إلا فى ساعات الدوام ، كنت أنا مضطراً ويبقى أبنائى حوله إلى وقت متأخر .

مر زمن كبير على هذه القصة أقدره بسنوات ، ونسيت كل الأحداث التى صاحبت قدوم هذا الدش ، وشرعت فى ظروف هذه الحياة ولم يبق عندى من الزمن ما أجلسه أمامه ، كنت أعود إلى البيت فى ساعات متأخرة من الليل ،

وأحياناً قبل الفجر ، واستمررت زمناً طويلاً ، ظروف الزمن هى التى تجبرنى على ذلك .

وفى ليلة من هذه الليالى التى أصبح لي التأخر عادة ، عدت فى ساعة متأخرة جداً ، وكالعادة استلقيت فى غرفتى دون أن يعلم بقدومى أحد ، لكن الغريب فى الأمر هذه الوهلة ، أنى سمعت أشبه ما يكون بالأصوات المتداخلة ، أخذت أتمعن هذه الأصوات ، فإذا بها تمتمة لا تكاد تبين حروفها ، ارتفعت دقات قلبى ، ولم بى همٌّ عجيب ، وداخلتنى الشكوك لأول وهلة فى حياتى ، فانطلقت إلى غرفة زوجى ففتحت الباب فإذا بها تنام ملء جفنها ، تنهدت وزالت الشكوك التى تعتصرنى ، وحمدت الله وعدت لغرفتى ، ولكن كأنما الصوت داخل بيتى .

قمت هذه الوهلة وقلت لعل الأبناء نسوا ساعات الليل فى ظل ما يشاهدون ، كنت أمشى برفق وتؤدة حتى أعرف ما الخبر ، وصلت إلى الباب فاتضح لى أن الأصوات من داخل هذه الغرفة ، تحسست يد الباب فإذا بها محكمة ، حاولت أن أرى الخبر عبر الثقوب ، لكن دون ما فائدة ، فالباب محكم بعناية ، أشغلنى الأمر ، يوشك أن ينطلق صوت مؤذن الفجر وأبنائى لا زالوا يسمرون ، عدت إلى غرفتى عازماً على المساءلة والتأنيب غداً .

وقبل أن ألج الغرفة تذكرت باباً للغرفة من الجانب الآخر فاتجهت إليه ، وصلت ، وضعت يدى على مقبضه ، انفرج بسهولة ، أنظر ، أتأمل ، أضرب فى رأسى علنى فى حلم عابر ، لا ، بل المصيبة فعلاً ، المأساة ، الجروح الدامية ، العار والفضيحة ، النهاية المرة ، الولد يقع على أخته فيفض بكارتها ويهين كرامتها !! ، لم أتمالك نفسى من هول ما رأيت ، أطلقت صوتاً مذهلاً ، سقطت مغشياً عليّ ، قامت الزوجة فزعة ، وقفت بنفسها على

المأساة ، رأت ما لم يكن فى الحسبان ، الطبق المشؤوم ، الطبق المشؤوم ، يهتك ستر البيت ويشوه حاله ، يقضى على العفة النقية فيبدلها بآثار العار المخزية ، بنت فى سن العشرين تنتظر المولود القادم من فعل أخيها التائه ، سعادة الأسرة المنتظرة بأحلام المستقبل القريب ضاعت تحت كنف ذلك الطبق البائس .

عدت أتذكر ذلك المجتمع الذى طرق بيتى وحاول دون وصول ذلك الطبق المشؤوم ، وأتذكر حال الزملاء وحديثهم حول ما جلبت ، وبقيت اليوم عاجزاً عن البوح بما لقيت لأدنى قريب ، وقد وقعت المأساة ولا سبيل إلى النجاة .

وأخيراً أخرجت ذلك الطبق عن سطح منزلنا ، لكن بعد وقوع وصمة العار داخل أرجاء ذلك المنزل .

فوا أسفاه على العفة التى ذهبت .

فوا أسفاه على الغيرة التى نسيت .

ووا أسفاه على النصيحة يوم بذلت دون أن أرعاها أى عناية .

هذه قصتى أسردها اليوم وكلماتها أثقل من الحديد على فمى ، ووقعها أشد من ضرب السياط فى جسدى ، وعارها ألصق شىء بعفتى وعفة أسرتى ، لكننى أحببت أن أنقلها فتعيها الآذان الصاغية وتستفيد منها النفوس الغافلة ، وإلا فعند غيرى أكثر مما ذكرت لكنهم إما لم يعثروا عليها حتى الآن ، أو أن نفوسهم ضعفت عن الحديث بها ، وها أنا أبرأ إلى الله وأخرج من جور المساءلة غداً عند الله بذكر هذه الآثار ، ولا حجة بعد ذلك لمخلوق ، اللهم إنى قد بلغت ، اللهم فاشهد .



من المسئول ؟!! (١)

جلس رجل الأعمال المليونير الكبير فى شرفة فندق الأوراس المطل على البحر المتوسط بالجزائر وظل يتفكر فى حياته ، لقد قضى حياته كلها باندفاع بحثاً عن المال والصفقات فى كل أنحاء العالم حتى أصبح مليونيراً ... وهو يذكر جيداً أن الليالى التى قضاها من عمره فى فنادق العالم أضعاف الليالى التى قضاها فى بيته ... وتذكر المليونير أسرته ... زوجته الصغيرة الجميلة ، وابنه الذى سيأخذ الشعلة منه ، ويدير شركاته وأعماله ، وأخذ رجل الأعمال يتذكر فى أى سنة دراسية يكون ابنه ، فلم يعرف ،كل الذى يدريه أن ابنه بكلية الهندسة .. وأثناء هذه الأحلام .. دق جرس التليفون فى غرفته ... وكانت المكالمة من القاهرة ... والمتحدث على غير العادة شقيقه :

احضر فوراً .. زوجتك تحتضر ...

● انقلها فوراً بالطائرة إلى أوروبا .. أريد أن تعيش وبكى رجل الأعمال لأول مرة فلقد تبخرت آماله فى لحظة .. ولكنه سيضع كل ثروته مقابل أن تعيش زوجته ... .

وفى مطار القاهرة كان شقيقه الأكبر فى انتظاره لم يكن قد رآه منذ سنوات فلقد كان مشغولاً حتى عن زيارته لشقيقه الوحيد .. فلما سلم عليه قال له : تماسك لقد ماتت متأثرة بجراحها .. وبكى .. بكى طويلاً .. ووسط دموعه

---

(١) بتصرف واختصار من كتاب « شباب فى دائرة الموت » لوجيه أبو ذكرى .



سأل شقيقه : كيف ماتت ... وأين هى ؟ ... قال : فى المشرحة ...

● قال الزوج : المشرحة ؟ !! قال : نعم ، والجنازة غداً .. أجلناها حتى تكون من مودعيها .. قال رجل الأعمال : وأين ابنى ؟ قال : لم يتمكن من الحضور – حزين عليها – طبعاً ، وساد صمت رهيب ، رجل الأعمال شارد فى ماضيه شريط طويل من الذكريات معها ، كانت معه كالنسيم واتجه شقيقه بالسيارة فى اتجاه غير اتجاه قصر رجل الأعمال فقال له : إلى أين ؟ فقال الأخ إلى بيتى أولاً .. قال : لماذا ؟ هل تخفى شيئاً ؟ قال شقيقه : لا ، ولكن أرجوك لا تعارضنى وبكى شقيقه ، ودخل الشقيقان فى غرفة الصالون وأغلق عليهما الباب .. فقال رجل الأعمال : أشعر أن هناك أمراً أعظم من الموت فقال شقيقه : المأساة قاسية .. لا تُصَدَق .. لقد اتصل بى ضابط الشرطة وطلب منى الحضور للقسم فوراً .. وذهبت فوجدت ابنك ممزق الثياب وعلى ملابسه بقع من الدماء .. وفى حالة ذهول يجلس على الأرض وكاد قلبى يتوقف وسألت .. ماذا جرى ؟ .. فنظر إلىّ ابنك وارتمى على صدرى وظل يبكى ويبكى ثم سألت الضابط ، فقال لى جملة سقطت بعدها فاقد الوعى . قال : البيه المدمن قتل أمه ! وصرخ رجل الأعمال وهو يستمع إلى شقيقه .. وقال بكلمات صادرة من قلب مكسور .. آه .. لقد انتهت حياتى .

وبدأ الأب فى متابعة سماع المأساة .. إن ابنه الوحيد طعن أمه بسكين المطبخ حتى ماتت ثم ذهب إلى قسم الشرطة وقال جملتين فقط : أنا فلان ابن فلان .. قتلت أمى بهذا السكين .. ورفض أن يتكلم بعدها .. كما رفض الإجابة عن أى سؤال .. وفتشوه فوجدوا معه تذكرة هيروين وأمرت النيابة بتشريح الجثة ثم صرحت بدفنها .. هذه هى المأساة .

قال رجل الأعمال : لماذا قتلها ؟ قال شقيقه : لا أحد يعرف حتى الآن ، وانتهت مراسم الجنازة وودع الرجل زوجه حتى القبر ، وخلال ذلك فشلت الصحافة والشرطة والنيابة فى معرفة الدافع لهذه الجريمة التى فاقت كل حد .

وحللت إحدى الصحف الجريمة فقالت : « هذا الشاب يرفض الحديث ، هو لاشك مدمن هيروين حيث عثر معه على كمية ضئيلة منه وكان فى حاجة إلى مال ، فطلبه من والدته الثرية زوجة المليونير فرفضت فهددها بالسكين فلم تتصور وهى الأم أن يرفع ابنها السكين عليها ، فأصرت على الرفض فنفذ تهديده وقتل أمه .. وعندما سلم نفسه إلى الشرطة كان فى حالة وعى من هول المأساة فشعر بالندم فسكت انتظاراً لحبل المشنقة .. هذا تصورنا للحادث الذى هز المجتمع وكثرت تفسيراته أمام صمت الشاب القاتل الذى فصل من كلية الهندسة حيث عاش أسير الهيروين » قرأ المليونير هذه المقالة فى الصباح قبل أن يذهب إلى ابنه وسأل نفسه : أين كنت يا رجل الأعمال ؟ ابنك كان مفصولاً من الكلية وأنت لا تدرى ؟ .. ابنك أدمن الهيروين وأنت لا تدرى ؟ .. ليت هذه الأموال التى جمعتها تضيع كلها وتعود لى أسرتى .. وذهب الرجل إلى ولده ... وكان لقاءً مؤثراً بين الوالد وابنه .. بعد أن أغلق الحارس الباب عليهما وساد صمت قطعه الابن حين ارتمى فى أحضان أبيه قائلاً : أرجوك ضمنى إلى صدرك بشدة أكثر .. أحتاج إلى هذا .. محروم منه .. ما أقسى الحياة .. آسف لم أكن فى وعيى ، عاد لى الوعى عندما خرجت نافورة الدم الأولى من جسد أمى .. أبداً لم تكن تستحق هذا .. دعنى لأبكى على صدرك ، فلم أكن أعرف الدموع .. ورجل الأعمال لا يدرى ماذا يقول : هل يتعاطف مع ابنه الذى قتل شريكة حياته ؟ لقد أحدث هذا الموقف خللاً فى مشاعره ... بل زلزالاً فى هذه المشاعر .

وبدأ الشاب يروى لوالده : لقد عرفت الهيروين للتسلية والجنس ولكنه قتل فيَّ كل شيء .. الطموح والخُلق ، ودفعنى وأصحابى من المدمنين إلى الجريمة .. سرقنا ...كم سرقت من أمى ؟ وكم هى اتهمت الشغالة ؟ .. حتى عرفت أننى أتعاطى الهيروين وهددتنى بأنها سوف تبلغك إن لم أتوقف ، فادعيت لها أننى توقفت ... ولكن كل تصرفاتى تفضحنى وزادت حاجتى للمال لشراء الهيروين وطلبت منى أمى أن أدخل إحدى المصحات للعلاج فرفضت ، وبندم شديد قال : حتى كان يوم الجريمة ، كنت فى حاجة ماسة إلى مال لأشترى هيروين ، وطلبت منها ألف جنية وأخبرتها أننى صدمت سيارة بسيارتى ولكنها رفضت وإذا بالحاجة إلى الهيروين تدفع إلى رأسى بفكرة جنونية ، هددتها بأنها إذا لم تدفع لى الألف جنية فسأخبرك بأنها على علاقة برجل ... فصفعتنى وبصقت فى وجهى ... وإذا بهذه الفكرة الجنونية الكاذبة تتحول إلى شبه واقع أمامى وأن أمى حقاً على علاقة برجل آخر ، هكذا صور لى الهيروين الوهم حقيقة وتضخمت الأمور أمامى .. وتصورت ما يحدث بين العشيق وعشيقته، والعشيقة هنا أمى إذن هذه المرة يجب أن تموت .. وأسرعت إلى المطبخ .. وجئت بالسكين وطلبت الألف جنيه من هذه الخائنة فرفضت فكانت الجريمة البشعة .. وماتت أشرف امرأة فى الوجود .. وما أن انتهى الشاب من سرد روايته إلى والده إذ بأبيه يخرج من الغرفة دون كلام أو وداع ونادى الولد على والده ، فلم يرد الوالد ، ثم نادى مرة .. ومرة .. ومرة .. قائلاً : أنت السبب .. أنت السبب وظل الشاب المدمن يقول : إن والده هو السبب وهو الذى دفعه لكل هذا لعدم رعايته له ... الشاب لم يقدم للمحاكمة لقد فقد البقية الباقية من عقله .. تم إيداعه مستشفى الأمراض العقلية .. وهو يقول لكل من يقابله : أنت السبب وأمى أشرف امرأة فى الدنيا .. أمى أشرف امرأة فى الدنيا ... .

في حي الدقي يوجد مسجد في ميدانه عندما تدخله لتأدية الصلاة ستجد بداخله رجلاً يرتدي جلباباً أبيض ويضع أمامه كتاب الله يقرأ فيه وعندما ينتهي من التلاوة يرفع كفيه إلى السماء : اللهم اغفر لي وسامحني يارب العالمين ، هذا الرجل هو نفسه رجل الأعمال .. الذي تبرع بكل ما يملك لإدارة مكافحة المخدرات ... وأخذ من بيت الله مكاناً كي يرحمه ... وعندما تؤدي الصلاة بجواره سيصافحك بحرارة ويطلب منك بلطف وآدب أن تعطيه من وقتك القليل وسوف يروي لك هذه القصة بكل تفاصيلها وسيبكي كثيراً وهو يسرد القصة ثم سيطرح عليك سؤالاً محيراً ؟ من المسئول عن كل هذا ؟ من ؟ من ؟ [1]



---

(١) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦ ﴾ [التحريم : ٥] ، وكما قال ﷺ : « أحفظ الله يحفظك » وبالمقابل إذا ضيعت الله ضيعك .



منذ ودعته لينتقل إلى بلد آخر للدراسة وهى لا تتوقف عن التفكير فيه والحديث مع الجارات عنه .. إنه وحيدها وفلذة كبدها ... لكم اشتاقت إليه .. تنهدت أم أحمد وهى تعد الأيام الأخيرة لابنها فى بلاد الغربة البعيدة ... .

الحمد لله ... أيام ويعود ... كم اشتقت إليك يا بنى ... .

ويتراءى لمخيلتها وهو يلقى بالحقائب ويهرع نحوها ليقبل يديها ويمنحها بسمته الحانية .. ترمق الماضى وتتذكر كيف كان يملأ عليها البيت سروراً وسعادة ... وكيف تعبت كثيراً حتى بلغ مبلغ الرجال وصار يشار إليه بالبنان لاجتهاده وذكائه .. شعرت بأنه آن الأوان لتقطف ثمرة جهدها وترى ابنها طبيباً ماهراً له مكانته ... .

تستيقظ من شرودها على رنين الهاتف ... تنهض من أريكتها وتسرع وهى تعتقد أن الذى سيكلمها هو ابنها ... .

لابد أنه أحمد ... سيخبرنى بموعد قدومه .. وترفع السماعة ونبضات قلبها تخفق ... من ... ؟! من المتكلم ؟ .

وتصفعها كلمات حارقة تنبئها بالفاجعة ... ابنك يا أم أحمد لقد اصطدم بسيارته ومات .. تتغير ملامح وجهها وينعقد لسانها .. تصاب بالذهول .. تسقط السماعة من يدها ... تضطرب قليلاً ثم تهوى على الأرض ... .

---

(١) « حوادث واقعية » الحميدى .

ويقدر الله عز وجل أن يأتيها قريب لها في ذلك الوقت ليسأل عنها ... يطرق الباب فلا يجيب أحد .. يحرك مقبض الباب فيجده مفتوحاً ... .

ترى ما الأمر ؟!

يلج المنزل ليفاجأ بأم أحمد ملقاة على الأرض غائبة عن الوعي ... يسرع ينقلها إلى المستشفى ...

ويصل أحمد إلى بلدته ويسرع والشوق يدفعه لرؤية أمه التي يحبها حباً عظيماً ، وصل البيت وهو يحلم بأنه يزف لأمه بشرى نجاحه ، ويدخل المنزل ليفاجأ بعدم وجود أحد بداخله يسأل عن أمه فيعلم أنها في المستشفى ... يستقل سيارته ويسرع للإطمئنان عليها ، ينهب بسيارته الأرض ليصل في أسرع وقت ممكن .. ويمضي دون أن ينتبه لمخاطر الطريق .. وينفجر إطار سيارته عند منعطف حاد فتنقلب سيارته وتتحطم .. يسرع الناس لإنقاذه .. يخرجونه من السيارة والدماء تغطي جسده ... ينقله أحدهم بسيارته للمستشفى .. يصل وقد فارق الحياة ... تصحو أمه وتعلم بقصته .. تشهق من شدة الأسى وتنهار ... لاحول ولا قوة إلا بالله ... لقد ماتت .. !! .







هذه قصة واقعية من أيامنا هذه ، ترسلها زوجة إلى جريدة الأهرام ، ونشرها محرر « بريدة الجمعة » عبد الوهاب مطاوع فى مقاله تحت عنوان : « الضوء الأخير ! » .

دفعنى للكتابة إليك بيتا الشعر اللذان قرأتهما فى ردك على إحدى الرسائل ويقولان :

إنما الدنيا هِبَاتٌ وعوارٍ (٢) مستردّه
شدةٌ بعدَ رخاءٍ ورخاءٌ بعدَ شدّه

فأردت أن أروى لك قصتى عسى أن تكون عبرة لغيرى ، فأنا زوجة وأم لفتاة بالسنة النهائية بإحدى الكليات النظرية ، ولى ابنٌ شابٌ متزوج ولَدَيه طفلان ، وزوجى ضابط عسكرى بالمعاش ، ونعيش فى أحد أحياء القاهرة ، ومنذ أن بدأت حياتى مع زوجى ونحن نعيش حياة رغدة ، وقد استعنت طوال حياتى الزوجية على تربية أولادى بمربيات عديدة ، لا أتذكر عددهن من كثرتهن ، ولا عجب فى ذلك ، فقد كان كل واحدة منهن لا تمكث عندى أكثر من شهرين، ثم تفرّ من قسوة زوجى العدوانى بطبعه ، والذى لا أعرف هل اكتسب عدوانيته هذه خلال رحلة حياته أم أنها وراثية فيه ، فقد كان يتفننُ فى تعذيب أى مربية تعمل عندنا، ولا أنكر أنى شاركته فى بعض الأحيان جريمته .

---

(١) الجزاء من جنس العمل . سيد عفانى .
(٢) عوارٍ : جمع عارية وهى الشىء المستعار .

ومنذ خمسة عشر عاماً ، وابنتى فى السابعة من عمرها ، وابنى فى المرحلة الإعدادية جاءنا مزارع من معارف زوجى ، ومن أبناء بلدته ، يصطحب معه ابنته الطفلة ذات الأعوام التسعة ، فاستقبله زوجى بكبرياء وترفع ، وقال للمزارع البسيط : إنه أتى بابنته لتعمل عندنا مقابل عشرين جنيهاً فى الشهر ووافقنا ، وترك المزارع المكافح طفلته الشقراء ، فانخرطت الطفلة فى البكاء ، وهى تمسك بجلباب أبيها ، وتستحلفه ألا يتأخر عن زيارتها ، وألا ينسى أن يسلم لها على أمها وإخوتها ، وانصرف الرجل دامع العينين ، وهو يعدها بما طلبت ، وبدأت الطفلة حياتها الجديدة معنا ، فكانت تستيقظ فى الصباح الباكر قبل أن يستيقظ طفلاى لتساعدنى فى إعداد طعام الإفطار لهما ، ثم تحمل الحقائب المدرسية ، وتنزل بها إلى الشارع ، وتظل واقفة مع ابنتى وابنى حتى يحملهما أتوبيس المدرسة ، وتعود للشقة فتتناول طعام إفطارها وكان غالباً من الفول بدون زيت ، وخبز على وشك التعفن ، وفى بعض الأحيان قد نجود عليها بقليل من العسل الأسود أو الجبن ، ثم تبدأ فى ممارسة أعمال البيت من تنظيف وشراء الخضر والمسح وتلبية النداءات حتى منتصف الليل ، فتسقط على الأرض كالقتيلة وتستغرق فى النوم ، وعند أى هفوة أو نسيان أو تأجيل أداء عمل مطلوب ينهال عليها زوجى ضرباً بقسوة شديدة ، فتتحمل الضرب باكية صابرة ، ورغم ذلك فقد كانت طفلة فى منتهى الأمانة والنظافة والإخلاص لمخدوميها ، تفرح بأبسط الأشياء ، وتغنى غناءً حزيناً خافتاً يعبر عن شوقها لبلدتها وأمها وإخوتها وهى تغسل الأطباق .

ورغم اعترافى بأنى كنت شريكة لزوجى فى قسوته على الخادمات ، وتفننه فى تعذيبهن ، حتى أنه كان أحياناً يختلق الأسباب لضرب أى خادمة تعمل عندنا ، إلا أنه كانت تأخذنى الشفقة فى بعض الأحيان بهذه الفتاة ، لطيبتها

وانكسارها وإخلاصها ، فأناشد زوجي ألا يضربها ، وأقول له : إنها قد كبرت وتعوّدت على طباعنا ، وتحمّلتنا كثيراً فلا داعي للاستمرار في ضربها ، فكان يقول لي مقهقهاً : إنه لو لم يضربها فإنها ستطلب منه أن يضربها ؛ لأنها قد تعوّدت عليه ، وأن هذا « الصنف » من الناس لا تجدى معه المعاملة الطيبة ، واستمرت الفتاة تتحمل العذاب في صمت وصبر ، وأتذكر هذه الطفلة التي تماثلهما في العمر تنظف وتغسل دون شفقة ، وبعد أن تنتهي من أعمالها الشاقة ترتدي فستاناً قديماً لكنه نظيف ، لأنها كانت تحرص على نظافة ملابسها البسيطة ، أما أبوها فلم تره تلك الطفلة إلا مرات معدودة بعد عملها عندنا ، فقد انقطع عن زيارتها بعد شهور ، وبدأ يرسل أحد أقاربه لاستلام أجرتها الشهرية ، كما لم تر أمها وإخوتها إلا في ثلاث مناسبات محددة ، الأولى حين مات شقيقها الأكبر في حادث عند عودته من الأردن ، وكانت الفتاة المحرومة تعلق أملاً كبيراً على عودته ، وتحلم بأن ينتشلها من العذاب الذى تعانيه عندنا ، فإذا به يلقى مصرعه ، وتفقد آخر أمل لها فبكته بحرقة وسراً حتى لا يراها زوجي ، فتلقى عقاباً على يديه .

والمرة الثانية لم تكن تعطفاً منا عليها ، وإنما كانت تخلصاً منها في الحقيقة فقد كانت مريضة بمرض معدٍ ، وخشينا على طفلينا من انتقال العدوى إليهما ، فأبعدناها إلى بلدتها بحجة أن ترى أمها وإخوتها .

وكانت المرة الثالثة عند وفاة أبيها بعد أن دخلت مرحلة الصبا ، واستقر الحزن والانكسار في قلبها .

وأرجو أن تصدقني يا سيدى ، إذ ليس لديّ ما يبرر أن أدعي شيئاً غير صادق ، وأنا كتبت لك بإرادتي ، إذا قلت أني أبكي الآن كلما تذكرت قسوة عقابنا لها إذا أخطأت أي خطأ ، وكان لابد أن تخطئ ، كأي طفلة ، وكأي

إنسان ، فقد كان زوجى يصعقها بسلك الكهرباء !! ، وكثيراً ما حرمناها من وجبة العشاء فى ليالى البرد القاسية ، فباتت على الطوى جائعة ، ولا أتذكر أنها نامت ليلة لمدة سنوات طويلة دون أن تبكى !! .

وسوف تتساءل ولماذا تحملت كل هذا العذاب ولم تهرب بجلدها من جحيمكم ؟ وأجيبك بأن الفتاة حين قاربت سن الشباب خرجت ذات يوم لشراء الخضروات ولم تعد ، فسأل زوجى البواب عنها ، وعرف أنها كانت تتحدث لفترات طويلة مع شاب يعمل لدى جزّار بنفس الشارع ، وأنه من المحتمل أن تكون قد اتفقت معه على أن يتزوجها وينتشلها من هذه الحياة ، فلم يمض أسبوع حتى كان نفوذ زوجى قد تكفل بإحضارها من مخبئها ، واستقبلناها عند عودتها استقبالاً حافلاً بكل أنواع العذاب ، فقام زوجى بصعقها بالكهرباء ، وتطوّع ابنى بركلها بعنف ، بينما بكت ابنتى وهى تقول لأبيها : حرام يا بابا حرام .. حرام .. ففقد سيطرته على نفسه واستدار إليها وضربها هى أيضاً ، وكانت المرة الأولى فى حياتها التى يضربها فيها أبوها !! .

وعادت الفتاة لحياتها الشقية معنا ، واستسلمت لمصيرها ، واستمر الوضع كما كان عليه ، تخطئ أو تؤجل عمل شىء بعض الوقت ، فيضربها زوجى ضرباً مبرّحاً ، ونخرج فى الأجازات إلى منطقة الأهرامات لنستمتع بشىء من اللحم ، ونترك لها بقايا طعام الأسبوع لتأكله ... إلخ ، ثم شيئاً فشيئاً بدأنا نلاحظ عليها أن الأكواب والأطباق تسقط من يديها ، وأنها تتعثر كثيراً فى مشيتها ، فعرضناها على الطبيب فأكد لنا أن نظرها قد ضعف جداً ، وأنه ينسحب تدريجياً ، وأنها لا ترى حالياً ما تحت قدميها ، أى أنها أصبحت شبه كفيفة ، ورغم ذلك فلم نرحمها ، وظلت تقوم بكل أعمال نظافة المسكن ، وتخرج لشراء الخضر كما كانت تفعل ، بل وكثيراً ما صفعتها إذا عادت من

السوق بخضروات ليست طازجة وكثيراً ما كانت تفعل لضعف بصرها الشديد ، فأشفقت عليها زوجة البواب ، فكانت تجلسها فى مدخل العمارة وتذهب هى لشراء الخضروات لها ، حتى تنقذها من الإهانة والضرب ، واستمر الحال هكذا لفترة من الزمن ، ثم خرجت الفتاة ذات يوم من البيت بعد أن أصبحت كفيفة تقريباً ، ولم تعد إليه مرة أخرى ، ولم نهتم بالبحث عنها هذه المرة .

ومضت السنوات فأحيل زوجى للتقاعد ، واستقبل حياة الفراغ ، وفقد المنصب والنفوذ - أسوأ استقبال فتضاعفت عصبيته وثوراته ، انفلاتاته إلى حد غير محتمل - ومع ذلك فقد تحملته بسبب عشرة السنين .

وتخرج ابنى فى الجامعة وعمل ، ثم أراد أن يخطب إحدى زميلاته ، فخطبناها له ، وهى فتاة رائعة الجمال ، وتزوجها وسعدنا بها واكتملت سعادتنا حين عرفنا أنها حامل ، ثم جاءت اللحظة السعيدة ، ووضعت مولودها ، فإذا بها نكتشف لصدمتنا القاسية أنه كفيف لا يبصر ، وتحوّلت الفرحة إلى سحابة كثيفة من الحزن القائم ، وبدأنا الرحلة الطويلة مع الأطباء بلا فائدة ، واستسلم ابنى وزوجته للأمر الواقع ، وانطفأ الأمل فى قلبيهما ، وأدخلنا حفيدنا الموعود بالعناء حضانة للمكفوفين ، وقررت زوجة ابنى ألا تحمل مرة أخرى خوفاً من تكرار الكارثة ، لكن الأطباء طمأنوها إلى أن هذا مستحيل ؛ لأنه لا توجد صلة قرابة بينها وبين زوجها تؤكد العوامل الوراثية ، وشجعوها على الحمل وإنجاب طفل آخر يعيد البسمة إلى حياتها وزوجها ، وشجعناها نحن أيضاً على ذلك على أمل أن يرزق ابننا بطفل طبيعى يخفف من حزنه وصدمته فى طفله الأول .

وحملت زوجة ابنى وأنجبت طفلة جميلة شقراء أُنزلت إلى الحياة ، فتوقفت قلوبنا حتى زفّ الطبيب البشرى بأنها ترى وتبصر ، كالأطفال

العاديين ، وسعدنا بها سعادة مضاعفة ، وانهالت عليها وعلى شقيقها اللعب والملابس والهدايا ، وبعد سبعة شهور لاحظنا عليها أن نظرها مركز فى اتجاه واحد لا تحيد عنه ، فعرضناها على أخصائى عيون للاطمئنان على سلامة عينيها ، فإذا به يصدمنا بحقيقة أشد هولاً ، وهى أنها لا ترى إلا مجرد بصيص من الضوء ، وأنها معرضة أيضاً لفقد بصرها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ورأى زوجي ذلك ، فأصيب بحالة نفسية فسدت معها أيامه ، وكره كل شىء ، ثم تطورت حالته حتى نصحنا الطبيب بإدخاله مصحة نفسية لعلاجه من الإكتئاب ، وانقبض قلبى ، وأحسست بهموم الدنيا تطأ صدرى بقسوة ، وفى ضيقى وأحزانى تذكرت فجاة الفتاة الكسيرة التى هربت من جحيمنا كفيفة بعد أن أمضت معنا عشر سنوات ذاقت خلالها أهوال الصعق بالكهرباء والضرب والهوان والحرمان ، وساءلت نفسى فى جزع هل هذا عقاب السماء [1] لنا على ما فعلنا بها ؟ .

وأصبحت صورة هذه الفتاة اليتيمة التى أهملنا علاجها وتسببنا فى كف بصرها تطاردنى فى وحدتى ، وتعلق أملى فى عفو ربى عما جنينا فى أن أجد هذه الفتاة ، وأكفر عما فعلنا بها ، ورحت أسأل الجميع حتى دلنا أحد الجيران إلى مكانها ، وعلمنا أنها تعمل خادمة بأحد المساجد ، فذهبت إليها وأحضرتها لتعيش معى ما بقى لي من أيامى ، ورغم كل قسوة الذكريات فقد فرحت بسؤالى عنها وسعيى إليها لإعادتها ، وحفظت العشرة التى لم نحفظها ، وعادت معى تتحسس الطريق وأنا أمسك بيدها ، وفرحت بسماع صوت ابنتى

---

(١) كثيراً ما يتكلم النصارى والجهلة بمثل هذه الألفاظ أمر السماء ، إرادة السماء ، عقاب السماء ، فينبغي على المسلم أن ينسب تدابير الكون إلى الله سبحانه فيقول : قدر الله ، وأمر الله ، وعقاب الله. والله أعلم .



الشابة التى طالما أحبتها هذه الفتاة الطيبة فى طفولتها وصباها ، وبسماع صوت ابنى الذى عرف الهمّ طريقه إلى قلبه ، واستقرت الفتاة معنا ، وأصبحت أرعاها بل وأخدمها هى وحفيدىّ الكفيفين ... وأملى ودعائى لربى أن يغفر لى ما كان ، وأن أقول لمن نضبت الرحمة [1] من قلوبهم : إن الله حيّ لا ينام ، فلا تقسوا على أحد فسوف يجىء يوم تطلبون فيه الرحمة من أرحم الراحمين ، وتندمون على ما فعلتم فى قوتكم وجبروتكم ...

هذه هى قصتى يا سيدى التى دفعنى بيتا الشعر اللذان قرأتهما فى ردك لأن أرويها لك ، وأرجو أن يقرأها الجميع ويعتبروا بما فيها ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته [2] .



---

(١) قال رسول الله ﷺ : « لا تنزع الرحمة إلا من شقي » ، حديث حسن رواه أحمد وأبو داود والترمذى عن أبى هريرة صحيح الجامع (٧٤٦٧) .

(٢) جريدة الأهرام ، بريد الجمعة ص ١٦ بتاريخ ١٩٩١/١/١٥ .

اعترافات ...!! (١)

أ - فرقتنا المعصية :

كنا معاً فى أطيب حال ، وأهنأ بال ، زوجين سعيدين ، متعاونين على طاعة الله ، وعندنا القناعة والرضا ، طفلتنا مصباح الدار ، كركراتها تفتق الزهور ، إنها ريحانة تهتز .

فإذا جنّ علينا الليل ونامت الصغيرة قمت معه نسبح الله ، يؤمنى ويرتل القرآن ترتيلا ، وتصلى معنا الدموع فى سكينة وخشوع ، وكأنى أسمعها وهى تفيض قائلة : أنا إيمان فلان وفلانة .

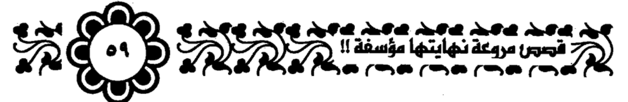
وذات يوم ، أردنا أن تكثر فيه الفلوس ، اقترحت على زوجى أن نشترى أسهماً ربوية ، لتكثر منها الأموال ، فندخرها للعيال ، فوضعنا فيها كل ما نملك حتى حليّ « الشبكة » .

ثم انخفضت أسهم السوق ، وأحسسنا بالهلكة فأصبح الدينار فلساً وشربنا من الهموم كأساً ، وكثرت علينا الديون والتبعات ، وعلمنا أن الله ﴿ **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ** ﴾ [سورة البقرة : ٢٧٦] .

وفى ليلة حزينة خوت فيها الخزينة تشاجرت مع زوجى ، فطلبت منه الطلاق ، فصاح : أنت طالق - أنت طالق - ، فبكيت وبكت الصغيرة ، وعبر الدموع الجارية تذكر جيداً : يوم أن جمعتنا الطاعة وفرقتنا المعصية .

---

(١) سرى للقطان .



ب – طلقني ليلة العرس ... ! :

كنت مولعة بحفلات الأعراس ، وأنا امرأة متحجبة ، زوجى متدين ، وكثيراً ما كان يحذرنى من الاختلاط فى حفلات العرس .

فإذا كان الجميع نساء نزعت حجابي ، وشاركت فى الرقص والغناء ، إنى جميلة وأحب أن أسمع النساء فى تلك الليلة يقلن : إنها أجمل من العروس ، فأشبع غروري .

وكان زوجى يوصيني كل مرة بعدم نزع حجابى خارج بيتى ، ويذكرنى بحديث الرسول ﷺ : « **أيما امرأة نزعت ثيابها فى غير بيت زوجها فقد هتكت ما بينها وبين ربها من ستر** » [١] .

وذات يوم سافر زوجى إلى إحدى دول الخليج ، وهناك فى إحدى الديوانيات تجادل شابان حول بنات دول الخليج أيهن أجمل ؟ ، فقام أحدهم وأحضر شريط فيديو خاص ببلدى ، اشتراه سراً بثمن باهظ ، فيه إحدى حفلات العرس ، وفوجئ زوجى إذ رآنى أغني وأرقص وألفح بشعرى ، ونصف صدرى عارى .

فأخذ الرجال فى الديوانية يتشهون على مفاتني ، فلم يتمالك إلا أن خرج مغاضباً ، وعاد من سفره ونشبت بيني وبينه معركة انتهت بالطلاق ، وأنا الآن معذبة وتعيسة تطاردنى الخطيئة فى كل مكان [٢]

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه والحاكم « صحيح » صحيح الجامع (٢٧١٠) .
(٢) سرى للقطان .

قصة مؤثرة [(١)]

هذه قصة واقعية مأساوية كتبتها صاحبتها إليّ صديقتها وطلبت منها أن تنشرها عبر الإنترنت ، وقد نقلناها لكم من أحد المنتديات ؛ سائلين الله عز وجل أن ينفع بها ويجعلها عظة وعبرة حقاً كما أرادت وتمنت صاحبتها فإلى هذه القصة :

[بسم الله الرحمن الرحيم ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، صديقتى العزيزة ، بعد التحية والسلام ، لن تصدقى ما حدث لي وما فعلته بملء إرادتى ، أنتِ الوحيدة فى هذا العالم التى أبوحُ لها بما فعلت كل ما أريده من هذه الدنيا فقط المغفرة من الله عز وجل وأن يأخذنى الموت قبل أن أقتل نفسى ، لا أدرى ما سأفعله بنفسى حيث يغمرنى اليأس ، وكل ما بين عينيّ ظلام فى ظلام ، سوف تقرئين فى السطور التالية مأساتى التى ربما تكرهيننى بسببها ولكِ كل العذر فى ذلك ، ولكن أرجو منكِ أن تنشري قصتى فى صفحة من صفحات الإنترنت لكى تكون عبرة لمن تستخدم الإنترنت وخصوصاً « التشتات » [(٢)] .

ما من يوم يمر عليّ إلا وأبكى فيه حتى أُعدم الرؤية ، كل يوم أفكر

---

(١) حوار هادئ مع أختى المسلمة . مريم السالم .

(٢) « لتشات » كلمة انجليزية ومعناها بالعربية الدردشة أو تجاذب أطراف الحديث ، ويكون ذلك بالتخاطب الفورى عبر الكمبيوتر ، وقد أثبتت الإحصاءات أن [٧٢٪] من الذين يدخلون في مثل هذه المواقع يعطون معلومات خاطئة وكاذبة عن أنفسهم ، فقد يقول أحدهم مثلاً إنه امرأة وهو رجل أو العكس .

بالانتحار عشرات المرات ، لم تعد حياتى تهمنى أبداً ، أتمنى الموت كل ساعة ، ليتنى لم أُولد ولم أعرف هذه الدنيا ، ليتنى لم أُخلق ، ماذا أفعل أنا فى حيرة وكل شيء عندى أصبح بلا طعم ولا لون ، لقد فقدتُ أعزّ ما أملك ، بيدى هذه أحرقتُ نفسى وأسرتى ، أحرقتُ بيتى وزوجى وأبنائى ، ولن يقدر أحد على إرجاع ما أضعت ، لن يستطيع أحد مساعدتى أبداً ، لقد وقع الأمر وأصبح وصمة عار فى تاريخى ، إننى أضع قصتى هذه بين يديكِ لكى تنشريها حتى تكون علامة ووقاية لكل بنتٍ تستخدم الانترنت ، ولكى تعتبروا يا أُولى الأبصار] .

إليك قصتي :

بدايتى كانت مع واحدة من صديقاتى القليلات ، دعتنى ذات يوم إلى بيتها وكانت من الذين يستخدمون الإنترنت كثيراً ، وقد أثارت فيّ الرغبة لمعرفة هذا العالم ، لقد علمتنى كيف يُستخدم وكيف أتصفح وأبحث عن المواقع الجيدة والرديئة وبعدها طلبت من زوجى أن يُدخل الإنترنت فى البيت ، وكان ضد تلك المسألة ويرفضها رفضاً تاماً ولكننى استطعت إقناعه خاصة وأنا أشعر بالملل الشديد والوحدة وأنا بعيدة عن أهلى وصديقاتى ، وتحججت بأن كل صديقاتى يستخدمن الإنترنت ، فلِمَ لا أستخدم أنا هذه الخدمة وأحادث صديقاتى عبره ، فهو أرخص من فاتورة الهاتف على أقل تقدير ، فوافق زوجى رحمة بي ، وفعلاً أصبحتُ أحادث زميلاتى بشكل يومى وبعدها أصبح زوجى لا يسمع منى أى شكوى أو مطالب ، فقد انشغلت به كثيراً ، وكان كلما خرج من البيت أقبلتُ كالمجنونة على الإنترنت بشغف شديد حتى أنى أقضى الساعات الطوال دون أن أشعر .

وبدأت أتمنى غياب زوجى كثيراً وأنا التى أشتاق إليه بعد خروجه بقليل ،

أنا أحب زوجى بكل ما تعنى هذه الكلمة وهو لم يقصر معى حتى وحالته المادية ليست بالجيدة ، كان بدون مبالغة يريد إسعادى بأى طريقة ، ومع مرور الأيام تعلّقت بالإنترنت وأصبحت لا أهتم حتى بالسفر إلى أهلى ، وقد كنا نسافر إليهم كل أسبوعين ، كان كلما دخل البيت فجأة ارتبكت فأطفئ جهاز الكمبيوتر بشكل جعله يستغرب فعلي ، لم يكن عنده شك بل كان يريد أن يرى ماذا أفعل فى الإنترنت ، ربما كان لديه فضول وكان يعاتبنى ويقول لي : الإنترنت مجال واسع للمعرفة ويحثنى على تعلم اللغات وكيفية عمل مواقع يكون فيها نفع للناس وليس مضيعة للوقت ، أحسسته بعدها بأنى جادّة وأريد التعلم والاستفادة وأنى لا أذهب « للتشات » إلا لمكالمة أخواتى وصديقاتى .

لقد تركت مسألة تربية الأبناء للخادمة وكنت أعرف متى يعود زوجى فلا أدخل فى الإنترنت ، ومع ذلك أهملتُ نفسى كثيراً ، كنت فى السابق فى أحسن شكل وأحسن لبس عند عودته من العمل ، وبعد الإنترنت بدأ هذا يتلاشى قليلاً حتى اختفى كُلياً ، وكنت أختلق الأعذار بأنه لم يخبرنى بعودته أو أنه عاد مبكراً على غير العادة ، ربما أدرك زوجى لاحقاً أن كل ما أفعله فى الإنترنت مضيعة للوقت ولكنه كان يشفق عليّ من الوحدة وبُعد الأهل ، وقد استغليتُ هذا أحسن استغلال وكان كلما وبخني على عدم اهتمامى بأبنائنا ألجأ إلى البكاء والدموع وأستخدم كيد النساء كما يقولون ، هكذا كانت حياتنا لمدة ستة أشهر تقريباً لم يكن يخطر ببال زوجى إنى أسيء استخدام هذه الخدمة أبداً .

خلال تلك الأيام بنيت علاقات مع أسماء مستعارة لا أعرف إن كانت لرجل أم امرأة ، كنت أحاور كل من يحاورنى حتى وأنا أعرف أنه رجل ، كنت أطلب المساعدة من بعض الذين يدّعون المعرفة فى الكمبيوتر والإنترنت ،

تعلمتُ منهم الكثير إلا أن شخصاً واحداً هو الذى أقبلتُ عليه بشكل كبير لما له من خبرة واسعة فى هذا المجال ، كنت أخاطبه دائماً وألجأ إليه ببراءة كبيرة فى كثير من الأمور ، حتى أصبحت بشكل يومى ، أحببتُ حديثه ونكته فقد كان مسلياً ، وبدأت العلاقة تقوى مع الأيام خلال ثلاثة أشهر تقريباً ، كان بينى وبينه الشىء الكثير أغرانى بكلامه المعسول وكلمات الحب والشوق التى ربما لم تكن جميلة بهذه الدرجة ولكن الشيطان جمّلها بعينى كثيراً .

فى يوم من الأيام طلب سماع صوتى وأصر على طلبه حتى أنه هددنى بتركى وأن يتجاهلنى فى « التشات » حاولتُ كثيراً مقاومة هذا الطلب ولم أستطع ، لا أدرى لماذا ، حتى قبلت مع بعض الشروط أن تكون مكالمة واحدة فقط فقبل ذلك ، استخدمنا برنامجاً للمحادثة الصوتية ، ورغم أن البرنامج ليس بالجيد ولكن كان صوته جميلاً جداً وكلامه عذب جداً ، طلب منى رقمى وأعطانى رقم هاتفه إلا أننى كنت مترددة فى هذا الشىء ولم أجرؤ على مكالمته لمدة طويلة ، إنى أعلم أن الشيطان الرجيم كان يلازمنى ويحسنها فى نفسى ويصارع بقايا العفة والدين وما أملك من أخلاق ، حتى أتى اليوم الذى كلمته من الهاتف ومن هنا بدأت حياتى بالإنحراف ، لقد انجرفتُ كثيراً ، أنا وهو كنا كالعمالقة فى عالم « التشات » . ومن يقرأ كلماتى يشعر بأن زوجى مهمل فى حقى أو كثير الغياب عن البيت ، ولكن العكس من ذلك هو ما يحدث كان زوجى يخرج من عمله ولا يذهب إلى أصدقائه كثيراً من أجلي ، ومع مرور الأيام وبعد اندماجى بالإنترنت والتى كنتُ أقضى بها ما يقارب (٨ إلى ١٢) ساعة يومياً ، أصبحتُ أكره كثرة تواجده فى البيت ، ألومه على هذا كثيراً ، وفعلاً أخذ بكلامى ودخل شريكاً مع أحد أصدقائه فى مشروع صغير ، ثم بعد ذلك أصبح الوقت الذى أقضيه فى الإنترنت أكثر وأكثر ورغم انزعاجه

كثيراً من فاتورة الهاتف والتى تصل إلى آلاف الريالات إلا أنه لم يقدر على ثنيى عن هذا أبداً .

علاقتى بذلك الرجل بدأت بالتطور وأصبح يطلب رؤيتى بعد أن سمع صوتى والذى ربما ملّه ، لم أكن أُبالي كثيراً أو أحاول قطع اتصالى به ، بل كنتُ فقط أعاتبه على طلبه ، وربما كنت أكثر منه شوقاً إلى رؤيته ، ولكنى كنت أترفعُ عن ذلك ، لا لشيء سوى إننى خائفة من الفضيحة ، وليس من الله ، أصبح إلحاحه يزداد يوماً بعد يوم ويريد فقط رؤيتى لا أكثر ، فقبلتُ طلبه بشرط أن تكون أول وآخر طلب كهذا يأتى منه ، وأنى يرانى فقط دون أي كلام ، أعتقد أنه لم يصدق بأنى تجاوبت معه بعد أن كان شبه يائس من تجاوبى ، فأوضح لي بأن السعادة تغمره وهو إنسان يخشى أن يصيبنى أىّ مكروه وسوف يكون كالحصن المنيع ولن أجد منه ما أكره ووافق على شروطى وأقسم بأن تكون نظرة فقط لا أكثر ... .

نعم تجاوبتُ معه تواعدنا والشيطان ثالثنا فى أحد الأماكن ، لقد رآنى ورأيته وليتنى لم أره ولم يرانى لقد أعجبتُ به وأعجب بى فى لحظة قصيرة لا تتعدى دقيقة واحدة ، لم يكن زوجى قبيحاً ولا بالقصير أو السمين لكن الشيطان جعلنى أشعر فى تلك اللحظة بأن لم أر فى حياتى أوسم منه ، ومن جهته لم يصدق أنه كان يتحادث مع من هى فى شكلى قال لي بأن أسرته بجمالى وأحبنى بجنون ، كان يقول لي سوف يقتل نفسه إن فقدنى بعدها ، كان يقول ليته لم يرنى أبداً لقد زادنى أنوثة وأصبحتُ أرى نفسى أجمل بكثير من قبل حتى قبل زواجى .

هذه بداية النهاية يا أخواتى لم يكن يعرف أنى متزوجة وأن لي أبناء ، لقد

عرف كيف يستغل ضعفي كأنثى وكان الشيطان يساعده بل ربما يقوده ، أراد رؤيتي بعدها مرة أخرى ، وكنت أتحجج كثيراً وأذكره بالعهد الذى قطعه حتى أني أخبرته بزواجي وأني لا أقدر على رؤيته ويجب أن تبقى علاقتنا فى الإنترنت فقط ، لم يصدق ذلك وقال لي : لا يمكن أن أكون متزوجة ولي أبناء !! ، قال لي : أنتِ كالحورية التي يجب أن تُصان ، أنتِ كالملاك الذى لا يجب أن يوطأ وهكذا أصبحتُ مدمنة على سماع صوته ، وإطرائه حتى جعلني أكره زوجى الذى لم ير الراحة أبداً فى سبيل تلبية مطالبنا وإسعادنا بدأتُ أصاب بالصداع إذا غاب عنى ليوم أو يومين ، أصاب بالغيرة إذا تخاطب أو خاطبه أحد فى « التشات » ، لا أعلم ما الذى أصابنى إلا أننى أصبحت أريده أكثر فأكثر ، لقد شعر بذلك وعرف يستغلنى حتى يتمكن من رؤيتى مجدداً ، كان كل يوم يمر يطلب فيه رؤيتى ، وأنا أتحجج بأنى متزوجة ، وهو يقول : ما الذى يمكن أن نفعله ، أنبقى هكذا حتى نموت من الحزن ... أيعقل أن نحب بعضنا ، ولا نستطيع الاقتراب : لابد من حل يجب أن نجتمع ، يجب أن نكون تحت سقف واحد ، لم يترك طريقة إلا وطرقها وأنا أرفض حتى جاء اليوم الذى عرض فيه عليّ الزواج وأن أتطلق من زوجى حتى يتزوجنى هو ، وإذا لم أقبل فإما أن يموت ، أو أن يصاب بالجنون أو يقتل زوجى ، الحقيقة رغم خوفى الشديد إلا أنى وجدت فى نفسى شيئاً يشدني إليه ، وكأن الفكرة أعجبتنى كان كلما خاطبنى ترتعش أطرافى وتسطكُ أسنانى كأن البرد كله داخلى ، احترتُ فى أمرى كثيراً أصبحت أرى نفسى أسيرة لدى زوجى ، وأن حبى له لم يكن حباً ، بدأتُ أكره منظره وشكله لقد نسيتُ نفسى وأبنائى ، كرهتُ زواجى وعيشتى كأنى فقط أنا الوحيدة فى هذا الكون التى عاشتْ وعرفتْ معنى الحب ، عندما علم وتأكد بمقدار حبى له وتمكنه منى ومن مشاعرى عَرَض

عليّ بأن أختلق مشكلة مع زوجي وأجعلها تكبر حتى يطلقني لم يخطر ببالي هذا الشيء وكأنها بدت لي هي المخرج الوحيد لأزمتي الوهمية ، وعدني بأنه سوف يتزوجني بعد طلاقي من زوجي وأنه سوف يكون كل شيء في حياتي وسوف يجعلني سعيدة طوال عمري معه ، لم يكن وقعها عليّ سهلاً ولكن راقتْ لي هذه الفكرة كثيراً وبدأتُ فعلاً أصطنع المشاكل مع زوجي كل يوم حتى أجعله يكرهني ويطلقني ، لم يحتمل زوجي كل تلك المشاكل التافهة والتي أجعل منها أعظم مشكلة على سطح الأرض ، وبدأ فعلاً بالغياب عن البيت لأوقات أطول حتى صار البيت فقط للنوم ، بقينا على هذه الحالة عدة أسابيع ، وأنها منهمكة في اختلاق المشاكل حتى أني أخطط لها مُسبقاً ، وبدأ هو يَمَلُّ من طول المدة كما يدعي ويصر على رؤيتي لأن زوجي ربما لن يطلقني بهذه السرعة حتى طلب أن يراني وإلاّ ؟؟! ، ووقتها قبلتُ دون تردد كأن إبليس اللعين هو من يحكي عني ويتخذ القرارات بدلاً مني ، وطلبت منه مهلة أتدبر فيها أمري .

وفي يوم الأربعاء الموافق [١٤٢١/١/١٢هـ] قال زوجي : إنه ذاهب في رحلة عمل لمدة خمسة أيام ، أحسستُ أن هذا هو الوقت المناسب ، أراد زوجي أن يرسلني إلى أهلي كي أرتاح نفسياً ، وربما أخفف عنه هذه المشاكل المصطنعة ، فرفضت وتحججت بكل حُجة حتى أبقى في البيت ، فوافق مضطراً وذهب مسافراً في يوم الجمعة كنت أصحو من النوم فأذهب إلى التشات وأغلقه فأذهب إلى النوم وفي يوم الأحد كان الموعد حيث قبلتُ مطالب صديق [التشتات] وقلت له بأني مستعدة للخروج معه ، وكنت على علم بما أقوم به من مخاطر ولكن تجاوز الأمر بي حتى لم أعد أشعر بالرهبة والخوف كما كنتُ في أول مرة رأيته فيها .

وخرجت معه ، نعم لقد بعتُ نفسى وخرجتُ معه ، اجتاحتني رغبة فى التعرف عليه أكثر وعن قرب ، اتفقنا وجاء فى نفس الموعد ، وركبتُ سيارته ثم انطلق يجوب الشوارع لم أشعر بشىء رغم قلقى فهى أول مرة يجوب الشوارع ، لم أشعر بشىء رغم قلقى فهى أول مرة فى حياتى أخرج مع رجل لا يمت لي بأى صلة سوى معرفة سبعة أشهر تقريباً ... كان يبدو عليه القلق أكثر منى ، وبدأت الحديث قائلة له : لا أريد أن يطول وقت خروجى من البيت ، أخشى أن يتصل زوجى أو يحدث شىء قال لي بتردد : وإذا يعنى عرف ربما يطلقكِ وترتاحين منه ، لم يعجبنى حديثه ونبرة صوته بدأ القلق يزداد عندى ، ثم قلت له : يجب أن لا تبتعد كثيراً ، لا أريد أن أتأخر عن البيت . قال لي : سوف تتأخرين بعض الوقت لأنى لن أتنازل عنك بهذه السهولة ، أريد أن أملى عينى منكِ ، ربما لن يكون هناك مجال عندكِ لرؤيتى بعدها ، هكذا بدأ الحديث ثم اتخذَ اتجاهاً رومانسياً أعلم كم من الوقت بقينا على هذا الحال ، حتى أنى لم أشعر بالطريق الذى كان يسلكه ، وفجأة وإذا أنا فى مكان لا أعرفه ... مظلم أشبه باستراحة أو مزرعة ، بدأت أصرخ عليه ما هذا المكان إلى أين تأخذنى ..!!

وإذا هى ثوانٍ معدودة والسيارة تقف ورجل آخر يفتح عليّ الباب ويُخرجنى بالقوة ، كان كل شىء عليّ كالصاعقة ، صرخت وبكيت واستجديت بهم ، أصبحت لا أفهم ما يقولون ولا أعى ماذا يدور حولي ، شعرتُ بضربة كف على وجهى وصوت يصرخ عليّ وقد زلزلنى زلزالاً فقدت الوعي بعده من شدة الخوف ، إنى لا أعلم ماذا فعلوا بي ، أو مَنْ هم ؟ وكم عددهم ؟ رأيت اثنين فقط ، كل شىء كان كالبرق من سرعته لم أشعر بنفسى إلا وأنا مستلقية فى غرفة شبه عارية ، ثيابي تمزقت ، بدأتُ أصرخ وأبكى وكان كل جسمى متسخ ، لم تمر سوى ثوانى وإذا بالذئب يدخل عليّ وهو يضحك ، قلتُ له :

بالله عليكم خلوّ سبيلي ، خلو سبيلى ، أريد أن أذهب إلى البيت ، قال : سوف تذهبين إلى البيت ، ولكن يجب أن تتعهدي بألاّ تخبرى أحداً وإلا سوف تكونين فضيحة أهلك ، وإذا أخبرت عنى أو قدمت شكوى سيكون الانتقام من أبنائك ، قلت له : فقط أريد أن أذهب ولن أخبر أحداً ، تملكنى رعب شديد كنت أرى جسمى يرتعش ولم أتوقف عن البكاء ، هذا الذى أذكر من الحادثة ، ولا أعلم أى شيء آخر سوى أنه استغرق خروجي إلى حين عودتى ما يقارب الأربع ساعات ، ربطوا عينى وحملونى إلى السيارة ورمونى فى مكان قريب من البيت ، لم يرنى أحد وأنا فى تلك الحالة ، دخلت البيت مسرعة وبقيت أبكى وأبكى حتى جفت دموعى ، تبيّن لي بعدها بأنهم اغتصبونى ، وكنت أنزف دماً ، لم أُصدق ما حدث لى ، أصبحتُ حبيسة لغرفتى ، لم أر أبنائى ولم أُدخل فى فمى أى لقمة ، يا ويلى من نفسى لقد ذهبت إلى الجحيم برجلّي ، كيف سيكون حالي بعد هذه الحادثة ، كرهتُ نفسي وحاولتُ الانتحار ، خشيتُ من الفضيحة ومن ردة فعل زوجى ...

لا تسألينى عن أبنائى فبعد هذه الحادثة لم أعد أعرفهم أو أشعر بوجودهم ولا بكل من حولي ، حتى بعد أن رجع زوجى من السفر شعر بالتغيّر الكبير والذى لم يعهده من قبل ، وكانت حالتى سيئة لدرجة أنه أخذنى إلى المستشفى بقوة ، والحمد لله أنهم لم يكشفوا عليّ كشفاً كاملاً بل وجدونى فى حالة من الجفاف وسوء التغذية وتوقفوا عند ذلك ، وطلبت من زوجى أن يأخذنى إلى أهلى بأسرع وقت ، كنتُ أبكى كثيراً وأهلى لا يعلمون شيئاً ويعتقدون أن هناك مشكلة بينى وبين زوجي ، أعتقد أن أبى تخاطب معه ولم يصل إلى نتيجة حيث أن زوجى هو نفسه لا يعلم شيئاً ، لا أحد يعلم ما الذى حلّ بى حتى إن أهلى عرضوني على بعض القراء اعتقاداً منهم بأنى مريضة ، أنا لا أستحق

زوجي أبداً فقد طلبت منه هذه المرة الطلاق ، وقد كنت في السابق أطلب الطلاق لنفسي ، وهذه المرة أطلبه إكراماً لزوجي وأبي وأبنائي ، أنا لا أستحق أن أعيش بين الأشراف مطلقاً ، وكل ما جرى لي هو بسببي أنا !!! ...

أنا التي حفرت قبري بيدي وصديق [التشتات] لم يكن سوى صائد لفريسة من البنات اللواتي يستخدمن [التشتات] ، كل من سيعرف قصتي سوف ينعتني بالغبية والساذجة ، وفي المقابل أتمنى بأن لا يحدث لأحدٍ ما حدث لي ، أتمنى أن يسامحني زوجي فهو لا يستحق كل هذا العار ، وأبنائي أرجو أن تسامحوني ، أنا السبب ... أنا السبب ... والله أسأل أن يغفر لي ذنبي ويعفو عن خطيئتي .

الآن ... وبعد أن قرأتِ قصة صديقتي [والكلام لناشرة القصة] أما آن للبنات ومن يستخدم [التشتات] والشباب الذي يلهث وراء الشهوات أن يخافوا الله في أنفسهم وأهليهم ، هي ليست غلطة الانترنت بل نحن الذين نسيء استخدامه ، نحن الذين نترك الخير والفائدة العظيمة ونبحث عن الشر وما هو منافٍ لأخلاق المسلم ، إن الشر كل الشر في الفراغ الذي لم نحسن استغلاله فعاد علينا بالوبال ولا نقول إلا : حسبنا الله ونعم الوكيل ... .

بقي أن أقول : ... لقد تُوفيت صديقتي [صاحبة القصة] قبل أسابيع ، ماتت ومات سرها معها ، زوجها لم يطلقها ، وقد علمتُ أنه حزن عليها حزناً شديداً [1] ...

---

(١) وصدق الله إذ يقول ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ [النور : ٢١] ، وقال تعالى : ﴿ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ الأحزاب : ٣٢] .

لقد شهدتا [1]

خرج التاجر الصالح من الموصل ليبيع بعضاً من الأغنام والأبقار والإبل فى حلب واستقر فى أحد الفنادق حتى الصباح ، ثم خرج إلى سوق المواشى وعرض ما معه على تجار الجملة ، ويسر الله عليه بيعها وقبض ثمنها نقداً ، وفى طريق عودته ... خرج عليه لص خطير وقاطع طريق ، فسل خنجره وأخذ ما معه من مال .. واستغاث التاجر ولا مغيث فقد أراد اللص أن يذبحه بخنجره .. فتوسل التاجر إليه أن لا يقتله وليأخذ جميع ما يملك .. ولكن خنجر القاتل كان يعمل عمله فى جسد التاجر حتى سقط جثة هامدة ... وكان التاجر فى استغاثته وتوسله ينظر يميناً وشمالاً لعله يجد من يغيثه ، ويستجيب لتوسله ... ولكنه لم يجد أحداً من الناس ووجد فوق الشجر التى ذبح تحتها حمامتين ... فقال وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة « أيتها الحمامتان : اشهدا ... » وقهقه قاطع الطريق وهو ينهض عن فريسته بعد أن فارقت الحياة قائلاً : « أيتها الحمامتان : اشهدا » .

ومضى إلى سبيله وهو يضحك كأنه سمع نكتة تستحق القهقهه والضحك.

وانتظر أولاد التاجر وأهله فى الموصل عودة أبيهم من رحلته التجارية .. وطال انتظارهم دون جدوى .. وسافر ولده الأكبر إلى مدينة حلب ليسأل عن أبيه فقيل له : إن والده نزل فى فندق كذا وباع أغنامه فى اليوم الفلاني، ووجد مقتولاً فى اليوم الذى باع فيه ما معه ، ودفن فى مقابر الغرباء وقاتله وسالب

(١) تدابير القدر ، لمحمود شيت خطاب « بتصرف واختصار » .

أمواله مجهول ، ودق باب الوالي ، وباب القاضى وأبواب من يعرف من الناس ومن لا يعرف ، فكان جواب الجميع : القاتل السارق مجهول الهوية ، وبذل جهوداً كبيرة ليعرف شيئاً عن سر مقتل أبيه ، ولكن جهوده ذهبت أدراج الرياح ، وعاد الفتى إلى الموصل فطرق باب الوالي والقاضى يسألهما العون ، فكتبا إلى والي حلب وقاضيها فكان الجواب : القاتل السالب: مجهول الهوية .

وانتهت قضية التاجر القتيل إلى باب مسدود ، فتقبل أولاده التعازى وأوكلوا قضيته إلى الله ... وتعاقبت السنون وتبدل الولاة والقضاة مرات ونسى الناس قصة الاغتيال والسلب ونسوا القتيل السليب ، ولكن رجلاً واحداً لم ينس تلك القضية : هو القاتل السالب ... ظل يذكرها وبخاصة حين يرى الحمام مرفرفاً أو على الشجر فيتخيل شبح القتيل أمامه وهو ينادى « أيتها الحمامتان : اشهدا » .

وفى يوم من الأيام لبى دعوة من دعوات العشاء على مائدة أحد أقربائه ... وكانت الوليمة تضم أشتاتاً وألواناً من الناس ... ونظر إلى أطباق الطعام فوجد أمامه مباشرة طبقاً فيه حمامتان ... وحملق الرجل فيهما طويلاً وتذكر قصة القتيل الذى استنجد بالحمامتين لتشهدا له ... فأطرق رأسه يستعيد تفاصيل جريمته ثم قهقه قهقهة لا إرادية يستعيد بها قهقهته الإرادية وهو يجهز على القتيل ... كأنه نسى الوليمة والمدعوين ، ولفت بوجومه الطويل ثم قهقهته الطويلة المدعوين من حوله ، فليس هناك ما يدعو للضحك ، ولاحقته الأنظار المستغربة وبشكل لا إرادى تنهد طويلاً ثم انطلق يحدث من حوله قصة المنكوب القتيل كأن قوة خفية قاهرة تحرك لسانه بشكل لا إرادى ، فلم يترك شاردة ولا واردة إلا وأفشاها للحاضرين ، ولم يكد يتم حديثه إلا وشعر بأن عبئاً ثقيلاً قد تخلى عنه ، ولكن حديثه أذهل الحاضرين ... وثاب إلى رشده وندم على إفشاء

سره ، ولكن بعد فوات الأوان ... وأصبحت القصة بعد ساعات من إذاعتها حديث المجالس فى كل مكان من مدينة حلب ... وسمعها والي حلب .. فأمر بتوقيف المتهم على ذمة التحقيق ، وأمر قائد الشرطة أن يبدأ التحقيق الرسمى فاستقدم الذين سمعوا القصة من المتهم مباشرة وهم على مائدة العشاء فسجل أقوال الشهداء ، واستدعى قائد الشرطة المتهم وأطلعه على أقوال الشهود فانهار المتهم واعترف بجريمته النكراء ، وأحيلت أوراق القاتل إلى قاضى المدينة فحكم عليه بالإعدام شنقاً حتى الموت .

وقال والي المدنية : لقد شهدتا ... وقال قاضى المدينة : لقد شهدتا ..

وقال قائد الشرطة : لقد شهدتا ... وقال الناس : لقد شهدتا ..

وفى ليلة تنفيذ الإعدام بالقاتل سألته زوجته : كيف أبحت بسرك المكنون بعد أن كتمته سنين طويلة ، فكان جوابه : « إن إرادة قاهرة شلت إرادتى وأجبرتنى على الكلام» ، وفى فجر اليوم التالى اقتيد القاتل السالب إلى ساحة الإعدام ، وهمهم حين وضع الحبل حول عنقه « لم أتكلم بلساني ، بل بلسان الحمامتين اللتين كانتا فى الطبق المستقر أمامى فى دعوة العشاء » ، واجتمعت حشود الناس حول جثة المصلوب وهى تهزج فرحة بإنقاذ المجتمع من مجرم شرير ... وفجأة انقلب هزيج الحشود الضخمة إلى تهليل وتكبير ، فقد استقرت حمامتان فوق رأس المصلوب لا تتحركان ... وهدرت الحشود بصوت واحد : لقد شهدتا ... عجزت عدالة الأرض عن اكتشاف سر القتيل فبقى القاتل طليقاً سنين طويلة ولكن عدالة الله كانت للقاتل بالمرصاد فكشفت سره وساقته إلى القضاء ، وأمهله الله ساعة ولكن لم يمهله إلى قيام الساعة ... وشهدت الحمامتان فساقته شهادتهما إلى مصيره المحتوم .

سوء الخاتمة [(١)]

قال الراوي : صحبنا على ظهر سفينة نجول بها حول البلدان طلباً لرزق الله فى أرضه شاب صالح ، نقيّ السريرة ، طيب الخلق ، كنا نرى التقى يلوح فى قسمات وجهه ، والنور والبشر يرتسمان على محياه ، لا تراه إلا متوضئاً مصلياً ، أو ناصحاً مرشداً ، إن حانت الصلاة أذن لنا وصلى بنا ، فإن تخلف أحد عنها أو تأخر عاتبه وأرشده ، وكان معنا على هذه السجية طيلة أسفارنا .

وألقى بنا البحر إلى جزيرة من جزر الهند فنزلنا إليها ، وكان ما تعود عليه البحارة أن يستقروا أياماً ثم يرتاحون فيها ويستجمون بعد عناء السفر الطويل ، يتجولون فى أسواق المدينة ليشتروا أغرب ما يجدون فيها لأهلهم وأبنائهم ثم يرجعون إلى السفينة فى الليل ، وكان منهم نفر ممن أضل الله يتيمم أماكن اللهو والهوى ومحال الفجور والبغاء ، وكان ذلك الشاب الصالح لا ينزل من السفينة أبداً ، بل يقضى هذه الأيام يُصلح فى السفينة ما احتاج منها إلى إصلاح ، فيفتل الحبال ويلفها ، ويقوِّم الأخشاب ويشدها ، ويشتغل بالذكر والقراءة والصلاة وقته ذاك .

قال الراوى – وعينه ترقرق بالدموع وتنحدر على لحيته – : وفى إحدى السفرات وبينما كان الشاب منشغلاً بأعماله تلك إذا بصاحب له فى السفينة ممن أتبع نفسه هواها وانشغل بطالح الأمور عن صالحها ، وبسافل الأخلاق عن

---

(١) من شريط للشيخ / أحمد القطان ، كتاب [٢٧٠ قصة وقصة] للشهاوى .



عاليها يهامسه ويقول :

صاحبى ، لِمَ أنت جالس فى السفينة لا تفارقها ؟!! لِمَ لا تنزل حتى ترى دنيا غير دنياك ؟ ترى ما يشرح الخاطر ويؤنس النفس ! أنا لم أقل لك تعال إلى أماكن البغاء وسخط الله ، ولا إلى البارات وغضب الله ، وهيهات ياصاحبى ، لكن تعال فانظر إلى مُلاعِب الثعابين كيف يتلاعب بها ولا يخافها ، وإلى راكب الفيل كيف يجعل من خرطومه له سلماً ، ثم يصعد برجيله ويديه حتى يقيمه على رجل واحدة ، وآه لو رأيت من يمشى على المسامير أنّى له الصبر ، ومن يلقم الجمر كأنما هو تمر ، ومن يشرب ماء البحر فيسيغه كما يسيغ الماء الفرات ، يا أخى انزل وانظر الناس ! ، فتحركت نفس الشاب شوقاً لِمَا سمع ، فقال :

وهل فى هذه الدنيا ما تقول ؟ .

قال صاحب السوء : نعم ، وفى هذه الجزيرة ، فانزل ترى ما يسرك ، ونزل الشاب الصالح مع صاحبه ، وتجولا فى أسواق المدينة وشوارعها حتى دخل به إلى طرق صغيرة ضيقة ، فانتهى بهما الطريق إلى بيت صغير فدخل الرجل البيت وطلب من الشاب أن ينتظره وقال : سآتيك بعد قليل ولكن ! إياك إياك أن تقترب من الدار ، جلس الشاب بعيداً عن الباب يقطّع الوقت قراءة وذكراً وفجأة إذا به يسمع قهقهة عالية ، ليُفتح الباب وتخرج منه امرأة قد خلعت جلباب الحياء والمروءة .

أوّاه !! إنه الباب نفسه الذى دخل فيه الرجل ، وتحركت نفس الشاب فدنا من الباب ويصيخ سمعه لما يدور فى البيت وإذا به يسمع صيحة أخرى ، فنظر من شق الباب ويتبع النظرة أختها لتتواصل النظرات منه وتتوالى وهو يرى شيئاً

لم يألفه ولم يره من قبل ، ثم رجع إلى مكانه ولما خرج صاحبه بادره الشاب مستنكراً : ما هـذا ؟ !! ويحـك !! هذا أمر يغضب الله ولا يرضيـه ، فقـال الرجل : اسكت يا أعمى يا مغفل ، هذا أمر لا يعنيك .

قال الراوي : ورجعنا إلى السفينة فى ساعة متأخرة من الليل ، وبقى الشاب ساهراً ليلته تلك ، مشتغل الفكر فيمـا رآه ، قد استحكم سهم الشيطان من قلبه ، وامتلكت النظرة زمام فؤاده ، فما أن بزغ الفجر وأصبح الصباح حتى كـان أول نازل من السفـينة ومـا فى باله إلا أن ينظر فقط ، ولا شيء غيـر أ ن ينظر ، وذهب إلى ذلك المكان ، فما أن نظر نظرته الأولى وأتبعها الثانية ، حتى فتح الباب وقضى اليوم كله هناك واليوم الذى بعده كذلك فافتقده ربان السفينة وسأل عنه : أين المؤذن ؟ أين إمامنا فى الصلاة ؟ أين ذلك الشاب الصـالح ، فلم يجبه من البحارة أحد ، فأمرهم أن يتفرقوا للبحث عنه فوصل إلى علم الربان من ذهب به إلى ذلك المكان فأحضره وزجره وقال له : ألا تتقى الله ألا تخشى عقابه ؟؟ ، عجل اذهب فأحضره ، فذهب إليه مرة بعد مرة لكن دون جدوى فلم يستطع إحضاره لأنه كان يرفض ويأبى الرجوع معهم ، فلم يكن من قائد السفينة إلا أن أمر عدة من الرجال يحضرونه قسراً فسحبوه بالقـوة وحملوه إلى السفينة .

قال الراوى : وأبحرت السفينة راجعة إلى البلاد ومضى البحارة إلى أعمالهم وأخذ ذلك الشاب فى زاوية من السفـينة يبكى ويئن حتى لتكاد نياط قلبه أن تتقطع من شدة البكاء ، ويقدمون له الطعام ولا يأكل ، وبقى على حاله البائسة هذه بضعة أيام ، وفى ليلة من الليالى ازداد بكاؤه ونحيبه ولم يستطع أحد من أهل السفـينة أن ينام فجاءه ربان وقال له : يا هذا اتق الله ، ماذا أصابك لقد

أقلقنا أنينك فما نستطيع أن ننام ، ويحك ما الذى بدل حالك ، ويلك ما الذى دهاك ، فرد عليه الشاب وهو يتحسر : دعنى فإنك لا تدرى ما الذى أصابنى ؟ فقال الربان : وما الذى أصابك ؟ عند ذلك كشف الشاب عن عورته وإذا الدود يتساقط من سوأته ، فانزعج ربان السفينة وارتعش لما رأى وقال : أعوذ بالله من هذا وقام عنه الربان وقبيل الفجر قام أهل السفينة على صيحة مدوية أيقظتهم وذهبوا إلى مصدرها فوجدوا ذلك الشاب قد مات وهو ممسك خشبة السفينة بأسنانه ، استرجع القوم وسألوا الله حُسن الختام ، وبقيت قصة هذا الشاب عبرة لمن يعتبر أ . هـ .





اللغز (١)

كان الوقت مساء عندما قدمت على رأس مجموعة من رجال الشرطة لاقتحام المنزل ... كان معنا اثنان من رجال هيئة الأمربالمعروف القريبة من المنزل ... البيت الذى أمرنا باقتحامه يبدو محيّراً ... لا أحد يجيب الطارق من أسبوع ... هذا بالرغم من أن العائلة المكونة من رجل وزوجته بالإضافة إلى ولد وبنت وخادمة لا يعرف أحد أين اختفوا ... أهل الزوجة يهاتفونهم يومياً – كما أخبرنى والد الزوجة وأخوها – ولا أحد يرد عليهم ... لم تخبرهم ابنتهم باحتمال سفرهم إلى مكان ما ... ترى هل حدث لهم مكروه داخل البيت ؟!!...

بعض الجيران يؤكد أن شيئاً حدث لهم بالداخل ، حدوث تسمم فى الطعام مثلاً ، أو دخول بعض المجرمين واحتجازهم أو قتلهم ... بعض الجيران القريبين من المنزل يؤكد أنه يشم من البيت روائح كريهة ...

نحن الآن نقف أمام البوابة الخارجية ... رجال الشرطة ينتظرون منى إعطاءهم الإذن بالاقتحام وكسر الباب ... أعطيتهم إشارة البدء ... كسروا الباب بالفعل ودخلنا إلى ساحة المنزل ... أمرتهم باستطلاع المنزل والتجول حول ساحته قبل الدخول إلى الداخل .. الوضع ساكن وهادئ إلى درجة مطمئنة ، هكذا يبدو المنزل من الخارج ... تركت اثنين من الجنود عند البوابة الخارجية

---

(١) مجلة الشباب ، العدد ١١ ، شوال ١٤٢٠هـ .

لحراستها تحسباً لأى طارئ ... وطلبت من البقية اقتحام البوابة الداخلية ... تمكنوا من كسر القفل فدخلنا جميعاً ... وضعت يدى فى جيبى ممسكاً بمقبض المسدس ... كأننى أشم رائحة غريبة .. هل هى رائحة دورة المياه القريبة ؟ ، أمرت أحد الجنود أن ينظر فيها ... لا شيء فيها يلفت النظر ورائحتها عادية جداً ... اقتربت من باب غرفة المجلس وركلته بقوة فانفتح ... نظرت إلى الغرفة .. صمت محيّر ... كل شيء فيها مرتب ونظيف .. نظرنا فى غرفة الطعام فلم نجد فيها ما يستغرب ..

فى هذه الأثناء تسرب إلى مسامعنا صراخ طفل من بعيد ، يبدوأن أهل البيت محاصرون فى إحدى الغرف مادمنا نسمع صراخ الطفل ... لكن ما مصدر هذه الرائحة ؟! ... هل فيهم قتلى ؟! هكذا تساءلت فى نفسى بمجرد سماعى للصوت ... أمرت الجميع بالصمت وأن يستعدوا لاقتحام باقى البيت .

دخلنا الصالة ولم نجد فيها أحداً ... بدأت الرائحة تشتد وتزكم أنوفنا .. اتجهنا بشيء من الحذر إلى الغرفة التى يأتى منها صوت صياح الطفل ... تبدو مغلقة وتنبعث من داخلها الرائحة الكريهة ... هل الجميع محتجزون هنا من قبل المجرمين ؟؟!! ... صوت بكاء الطفل يشتد ... نظرت فى وجوه الرفاق بدت حائرة مدهوشة وكأنها تطلب التريث حتى نطلب فريقاً إضافياً ... لكنى أعتقد أن الوضع لا يحتاج إلى هذا فنحن لم نسمع غير صوت الطفل فقط ... لابد أن نقتحم الغرفة مهما كان الأمر ... هكذا قلت فى نفسى ... طلبت من أحد الجنود أن يبقى فى الصالة قريباً من الغرفة ... كما أمرت ثلاثة من الجنود بتجهيز أسلحتهم وأن يرافقونا عند الاقتحام ...

وضعت يدي على مقبض باب الغرفة وأدرته فاستدار ... انتظرت لحظات فلم أدفع الباب إلى الخلف بعدما استدار المقبض ... كانت لحظات رهيبة كأننا

ننتظر فيها انفجاراً مروعاً ... وجوه الرفاق واجمة حائرة يخالطها شيء من التخوف والوجل ... دفعت الباب ببطء ... انبعثت الرائحة الكريهة بشكل لا يُطاق .. الطفل لا يزال يبكى وإن كانت نبرات بكائه قد خفتت عند سماعه لصوت الباب ينفتح ... دفعت الباب بقوة لينفتح بكامله وأنا أحاول الابتعاد عن مقابلة الجزء المفتوح خوفاً من هجوم طارئ ... بقينا لحظات لم نقابل فيها أى رد فعل مما أكد لنا أن ليس هناك من يمكنه أن يقاوم ... دخلنا واحداً واحداً ... كان المشهد مأساوياً حتى إن أحد رجال الهيئة عجز عن تحمل رؤيته فأدار وجهه قبالة الباب ...

بقع الدماء تتناثر فى كل مكان .. فى وسط الغرفة يتدل حبل قد ربط بالمروحة الكهربائية و قد تعلقت به رقبة رجل ما .. يبدو مشنوقاً قد خنقه الحبل فمات ... رائحته منتنة إلى درجة مقززة ... اقترب منى رجل الهيئة الآخر وهمس لي بأن هذا هو صاحب المنزل ...

سيدة متوسطة فى السن كانت ملقاة على الأرض فى إحدى زوايا الغرفة ... وقد ظهر جسدها مشوهاً بسيل من الطلقات النارية فكانت كتلة من الدم واللحم والأحمر ... وبجانبها جثة مماثلة لسيدة تجاوزت الأربعين ويبدو من ثيابها وهيئتها أنها الخادمة ... وقريباً منها كان ثمة جسد لفتاة فى الخامسة عشرة تقريباً وقد تكشف شيء من جسدها وبدا مطعوناً بعدة طعنات ، كان المشهد أفظع من أن يتخيل .

نظرت إلى الطفل الذى سكت بمجرد دخولنا ... كان فى الخامسة من عمره تقريباً ... كان يقبع فى أحد أركان الغرفة وقد انطوى على نفسه ... يطلق نظرات حائرة غامضة وكأنها نظرات مجنون ... فى مكان ما من الغرفة كان هناك سلاح الرشاش وبعض سكاكين المطبخ الملطخة بالدم ، لم يكن

الحادث قابلاً لأى تفسير !! ... بل كان لغزاً كبيراً لم أستطع فهمه !!! ...

الطفل ذو السنوات الخمس يبدو شاهد الإثبات الوحيد ولا أظنه قادراً على إبلاغنا بما حصل ... كنا قد أخذنا أسلحة الجريمة والبصمات التى وجدت عليها وطلبنا من الطبيب الشرعى مشاهدة الحادث لإعطائنا تقريراً تقريبياً لكيفية حدوث الجريمة ... كما كان لابد من بدء التحقيقات مع أقارب العائلة لمعرفة خلفيات الحادث ... استدعيت والد الزوجة بعد الحادث بيومين وسألته :

● هل تتهم أحداً بارتكاب الجريمة ؟!! ..

نظر إليّ نظرة طويلة قبل أن يجيب ... ثم قال وكأنه يطرد خاطراً ورد إلى ذهنه :

● لا ... لا ... أبداً ...

● هل تعتقد أن لزوج ابنتك أعداء يمكن أن يقوموا بالجريمة ؟!!

صمت قبل أن يجيب ... بدا شارد النظرات هائم التفكير ... حاول أن يجيب فقال :

● تقريباً لا ... فقد جاء قبل ثلاثة أسابيع من الحادث إلى هنا ... وكان متغيباً أكثر من ثلاثة شهور فى الرياض ... وبعد عودته بأسبوع أو أكثر جاء وأخذ ابنتى مع أولادها ... ولا أظن أن له عداوات تصل إلى هذه الدرجة من البشاعة .

● كل شيء ممكن فى هذا الزمن ، ثم قل لي : ماذا كان زوج ابنتك يعمل فى الرياض أكثر من ثلاثة شهور ؟!! ...

● لقد كان فى مستشفى الأمل للعلاج ...

● إذاً كان يتعاطى المخدرات .

● ولكن زوج ابنتي تاب وترك المخدرات بعد عودته من مستشفى الأمل ، لقد عاد معافى وطبيعياً كعامة الناس ... إنه رجل طيب رقيق القلب وقد ذهب للعلاج بعدما أقنعناه بذلك ...

● وهل انقطعت علاقاته برفاقه بعد عودته ؟ .

● كان حريصاً - كما قال لي - على قطع كل صلاته القديمة ، ولكن أعتقد أن بعض رفاقه قد جاؤوا عنده قبل الحادث بيوم أو يومين دون موعد سابق .

قطع حديثنا دخول أحد الجنود يحمل معه بضعة أوراق يبدو أنها تقرير الطبيب الشرعي عن الحادث ... أعطانيها نظرت فيها وقرأت ملخص التقرير :

[حسبما دلت عليه البصمات الموجودة على الأسلحة وبمعاينة الأعيرة النارية فى جثث القتلى وبعد تشريح جثة الرجل « الأب » فمن المرجح أن الجريمة تمت كالتالى : دخل الرجل المشنوق « الأب » الغرفة وهو فى حالة غير طبيعية فاقداً لعقله بعد تناوله مادة مخدرة وجدت فى أحشائه ، فحاول أن يمسك بالفتاة « ابنته » لأمر ما فمنعته المرأتان « الزوجة والخادمة » ... فأطلق عليهما من سلاح الرشاش الذى كان معه فقتلهما ... ثم عاد إلى الفتاة فقاومته فطعنها بالسكين وكشف شيئاً من جسدها لتحقيق مأربه ثم فعل ما أراد ... ثم أفاق بعد مدة فتعاظم جريمته النكراء فقام بشنق نفسه] .

نظرت إلى وجه والد الزوجة وأنا لا أكاد أصدق ... لم أكن أدرى كيف أخبره بحقيقة الأمر وقد اتضحت فى ذهنى الصورة الحقيقية للحادث ، وكيف لي أن أواجهه بحقيقة ما جرى ... لذا فضلت أن أقوم باخبار ابنه الأكبر ليتكفل هو بإبلاغ والده بالقصة كاملة .



الفاجعة (١)

غداً أسافر إلى المدينة ..

انتبه لنفسك يا بني ..

لا عليك يا أمي .. سأدرس الطب لأقف بجانبك وأعالجك .. الحمد لله .. كنت أنتظر هذا منذ مدة .. وها أنت ستبدأ الدراسة عما قريب .. لا تنسنا من الرسائل يا ولدى .. سأكتب لك دائماً يا أمي ..

ويصبح الصباح وتشرق الشمس فى سماء القرية التى تجمّع أهلها لوداع فلذات أكبادها .. عدد من الشباب سيغادرون القرية للدراسة فى الجامعة .. ويسافر خالد وليس يشغل باله إلا الدراسة ..

سأبذل كل جهدي .. لن أتراجع إلى الوراء .. سأنال الشهادة وأعود طبيباً عظمياً أعالج الناس فى قريتي ..

ويصل المدينة ويبحث عن سكن .. يجد بيتاً متواضعاً يسكن فيه ، وتبدأ الدراسة .. ينكب خالد على دروسه وكأنما يلتهم العلم إلتهاماً .. يتفوق فى الاختبارات على أقرانه .. ينتبه زملاؤه لتقدمه .. ينال إعجاب الجميع ..

عاش فى جو الجامعة المتميز بالاختلاط .. كانت المغريات تحف به .. ولتفوقه كانت الفتيات تلاحقنه ويهرب منهن .. لم يفلت من شر الأشرار .. خطط له جماعة منهم ليوقعوه فى حبالهم .. حاولوا مراراً وبكل الوسائل دون

---

(١) حوادث واقعية ، للحميدى .

فائدة .. ثم نصبوا له بعد ذلك شرك المخدرات .. ووقع فيه بعد تناول حبة واحدة فى حيلة خبيثة فعلها الأشقياء ..

شعر باضطراب غريب .. أصابه الهيجان وتملكته العصبية ، بحث عن حل لما هو فيه .. قاده ذلك إليهم .. وغدا ذليلاً بين أيديهم ..

بدأ يتخلف عن الدراسة فى الجامعة .. هزل جسمه .. بدأ يتقبل فعل المنكرات .. لم يعد يتردد فى ارتكاب المعاصي والآثام .. صار علماً بارزاً لعصابات المخدرات .. وقع فى شراك الزنا .. كان واحداً من أولئك الذين تفرغوا لاصطياد الفتيات وإيقاعهن فى شباك الفساد والفجور .. واتفق معهم على اصطياد فتاة كل أسبوع وتناوب مع رفقاء السوء فى ارتكاب الفاحشة .. وظل على هذه الحال حتى غربت شمس ذلك اليوم .. جاء إليه أحد أصدقائه ..

خالد .. خالد .. أتينا بفتاة جميلة ..

حقاً .. وأين هى ؟

إنها تنتظرك .. فقد جاء دورك ..

هل انتهيت أنت .. ؟

نعم .. هيا ..

وينهض بخفة وقد تملكته البهجة والسرور .. ويتجه لباب الغرفة مقبلاً على الفاحشة لا يردعه رادع ، ولا يرده وازع .. يدخل ويغلق الباب .. يلتفت لينظر إلى الفتاة الجميلة .. آه .. من .. ؟!!! .

ويجثو على ركبتيه .. لا .. لا .. ما الذى جاء بكِ إلى هنا .. ؟ .

شعر باختناق لهول الفاجعة .. أحس وكأن صاعقة أصابته وأحرقت قلبه .. إنها أخته .. تلك الفتاة التي جاءت للمدينة للبحث عنه ومعرفة أخباره .. ضلت الطريق ووقعت فى شباك الأشقياء الفجرة لتدفع ديناً باهظاً على أخيها .. !! .

الحصاد المر [1]

انضم خالد إلى حلقة تحفيظ القرآن الكريم ... كان خجولاً هادئاً ... كثير الصمت ... نشيطاً فى الحفظ والمراجعة ... أحب الجميع ... وأحبه الجميع ... يقول أستاذه : لم نكن ننكر عليه أى شىء إلا شروده الطويل وتفكيره الساهم ... فأخذته يوماً فى رحلة إلى شاطئ البحر فلعل سره الكبير يلتقى مع هذا البحر الكبير فيفرغ ما فى نفسه من هم ويخرج ما فى روحه من ألم ... ووقفت أمام هذا الفتى الصامت أمام هذا البحر الهادئ الصامت ... المنظر كله صمت ... فى صمت ... وفجأة يخترق هذا السكون الصامت ... صوت بكاء حار ... ونحيب مر ... صوت خالد وهو يبكى ... لم أشأ أن أقطع عليه لذة البكاء وطعم الدموع فلعل ذلك يريح نفسه ... ويزيل همه ... وبعد لحظات قال : إنى أحبكم ... أحب القرآن ... وأهل القرآن الصالحين ... الطيبين ... ولكن أبى ... أبى يحذرنى دائماً أن أمشى معكم ... يخاف منكم ... يكرهكم ... دائماً يبغضنى فيكم ... ويستشهد على ذلك بقصص وحكايات وأساطير ... لكن عندما أراكم فى الحلقة تقرؤون القرآن كنت أرى النور فى وجوهكم وفى كلامكم ... ولما انضممت للحلقة شعرت بالسعادة ... واجتهدت فى حفظ القرآن ... كانت ليالى وأيامى كلها قرآناً ... ولاحظ أبى التغيير الذى طرأ على حياتى ، عرف بطريقة أو بأخرى أننى دخلت التحفيظ ومشيت مع المطاوعة [2]

---

(١) الميلاد الجديد ، للغامدى « بتصرف واختصار » .

(٢) المطاوعة : يطلقها العوام فى بعض البلاد العربية على من أطلق لحيته والتزم الشرع .

حتى كانت تلك الليلة السوداء ... كنا ننتظر حضوره من المقهى .. كعادته اليومية .. لنتناول العشاء فدخل البيت بوجهه المظلم وتقاطيعه الغاضبة ، وجلسنا على سفرة الطعام ... الكل صامت ... كالعادة ... كلنا نهاب الكلام فى حضوره . ثم قطع الصمت بصوته الأجش الجهورى : لقد سمعت أنك تمشى مع المطاوعة ، فانعقد لسانى ... وذهب بيانى ... ولم ينتظر الإجابة ... تناول إبريق الشاى ... ورماه بقوة فى وجهى ... ودارت الدنيا فى رأسى ... وسقطت فحملتنى أمى ... وصحوت من إغماءتى الخفيفة على يديها الدافئة وإذا بالصوت الجهورى يقول : اتركيه ... وإلا أصابك ما أصابه ... فاستللت جسمى من بين يدى أمى وتحاملت على نفسى لأذهب إلى غرفتى وهو يشيعنى بأبشع الشتائم ... وأحط الألقاب ... لم يكن يمر يوم إلا وهو يضربنى ... يشتمنى يركلنى .. يرمينى بأى شىء يجده أمامه ... حتى أصبح جسمى لوحة مرعبة اختلطت فيها الألوان الداكنة .

كرهته ... أبغضته ... امتلأ قلبى بالحقد عليه ... يوم من الأيام ونحن على سفرة الطعام قال : قم ولا تأكل معنا ... وقبل أن أقوم ... قام هو وركلنى فى ظهرى ركلة أسقطتنى على صحن الطعام ... تخيلت أننى أصرخ وجهه : سوف أقتص منك ... سوف أضربك كما تضربنى وأشتمك كما تشتمنى ، سوف أكبر ... وأصبح قوياً ... وسوف تكبر وتصبح ضعيفاً ... عندها أفعل بك كما تفعل بى ... ثم هربت ... وخرجت من المنزل ... وأصبحت أجرى وأجرى على غير هدى وبدون هدف حتى ساقتنى رجلى إلى هذا البحر وأمسكت بالمصحف أقرأ فيه حتى لم أستطع أن أواصل من كثرة البكاء وشدة النحيب عندها نزلت من خالد بعض من دموعه النقية ... ولم أنبس بكلمة فقد ربط العجب لسانى ، هل أعجب من هذا الأب الوحشى الذى خلا قلبه من

الرحـمـة ، أم أعـجب من هذا الابن الصـابر الذى أراد الله عـز وجل له الهـداية فألهمة الثبات ؟ ، أم أعجب منهـما الاثنين حين استحالت رابطة الأبوة والبنوة بينهما أشلاء وصارت علاقتهـما كعلاقة الثعلب بالذئب والأسد بالنمر ...؟؟ أخذته بيدى ومسحت دموعه بيدى وصبّرته ... دعوت له ونصحته ببر والده والصبر على أذاه ... ووعدته بأن أقابل والده وأكلمه وأستعطفه ... ومضينا ... ومرت الأيام ... وأنا أفكر فى الطريقة التى أفاتح بها والد خالد فى موضوع ابنه وكيف أقنعه ... بل كيف أعرفه على نفسى ... وأخيراً ... استجمعت قواى وقررت أن تكون المواجهة ... أقصد المقابلة فسرت إلى منزله وطرقت الباب ... ويدى ترتجف .. ثم فتح الباب ... وإذا بذلك الوجه العابس ، وتلك التـقـاطيع الغاضبة .. .فابتسمت ابتسامة صفراء لعلها تمتص نظراته السوداء ... وقبل أن أتكلم ... أمسك بتلابيب ثوبى وشدنى إليه وقال : أأنت المطوع الذى تدرس خالداً فى المسجد ؟؟ ... قلت : ن . ع . م . .. قال : والله لو رأيتك تمشى معه مرة أخرى كسرت رجلك ، خالد لن يأتيكم بعد الآن ، ثم جمع مادة فمه ... وقذف بها دفعة واحدة فى وجه الفقير إلى الله ، وأغلق الباب وكان ختامها مسكاً ... فمسحت عن وجهى ولحيتى ما أكرمنى به ... ورجعت وأنا أسلى نفسى ... رسول الله ﷺ فُعل به أكثر من ذلك ، كذبه قومه وشتموه ورموه بالحجارة ، أدموا رجله ... وضعوا القاذورات فوقه ... طردوه وأخرجوه من أرضه ... فمرت ومرت الأيام والشهور ونحن لا نرى خالداً ... فأبوه يمنعه حتى من الخروج للصلاة ، ونسيناه فى غمرة الحياة ... ومرت السنون وفى ذات ليلة بعد صلاة العشاء وفى المسجد إذ بيد غليظة تمسك بكتفى ... آه إنها ذات اليد التى أمسكت بعنقى قبل سنين ... إنه نفس الوجه ... ونفس التقـاطيع ... ونفس الفم الذى أكرمنى بما لا أستحق ... ولكن هناك تغيراً كبيراً ... الوجه العابس

... أصبح منكسراً والجسم هدته الآلام والهموم ... فقلت : أهلاً يا عم ورحبت به فانفجر باكياً ... سبحان الله ما كنت أظن أن ذلك الجبل سوف يصبح يوماً سهلاً فقلت تكلم يا عم وأخرج ما فى نفسك كيف حال خالد ؟ فتنهد بعمق وقال : أصبح خالد يا بنى ليس خالداً الذى تعرفه ، ليس خالداً الفتى الطيب الهادى الوديع ... منذ أن خرج من عندكم تعرف على شلة من شلل الفساد يلهو ويلعب ... بدأ بالدخان معهم فشتمته وضربته ... لا فائدة فقد تعود جسمه على الضرب واستساغت أذناه الشتائم ... كبر بسرعة كان يسهر معهم ولا يأتى إلا مع خيوط الفجر ، طُرد من المدرسة أصبح يأتينا ليلاً بلسان يُهذى ويد ترتعش ... تغير ذلك الجسم الغض الطرى أصبح جسمه مهترئاً ضعيفاً ... أصبح وجهه أسود وعينه حمراء كالنار ، ذهب قلبه الطيب البار ، واستحال قلباً قاسياً كالصخر أو أشد ... أصبح لا يمر يوم إلا ويشتمنى أو يركلنى أو يضربنى ... تصور يا بنى أنا أبوه يضربنى ... ثم عاود بكاءه الحار ثم مسح دموعه ، أرجوك يابنى زوروا خالداً خذوه معكم ، بيتى مفتوح لكم ، بل إننى راضٍ أن يعيش فى منازلكم وينام معكم ، أرجوك يا بنى أقبّل يدك وألثم رجليك أرجوك ، المهم أن يرجع خالد كما كان ، ومضى فى بكائه ونحيبه وحسراته وتركته حتى أنهى ذلك كله ، فقلت له : ياعم ذاك زرعك ، وهذا حصادك ، ورغم ذلك دعنى أحاول .

وبدأت محاولاتى مع خالد لردّه إلى طريق الهداية والاستقامة ... الذى انحرف عنه بتأثير الضغوط الرهيبة التى مارسها عليه والده الظالم القاسى ... وبتأثير رفقاء السوء ...

حاولت أن أقابل « خالداً » بأى وسيلةٍ ... ولكنه كان يتهرب من مواجهتى بكل وسيلة ممكنة ...

بعثت له الرسائل والخطابات ... تابعت على منزله المكالمات والاتصالات ... انتظرته عند باب منزله الساعات تلو الساعات ... بحثتُ عنه فى المقاهى وأماكن التجمعات ... ولكن دون أن أظفر بمقابلته أو محادثته أو مواجهته ...

وفى ذات مرة ... وبينما كنتُ سائراً على قدميَّ فى أحد شوارع الحارة ... إذ بى أواجه « خالداً » أمامى ...

عرفته مباشرة رغم تغير ملامحه كثيراً ... وعرفنى هو على الفور ... فحاول الهرب منى ... والتملص من مواجهتى ...

أمسكت يده بقوةٍ ... ضممتهُ إلى صدري !! احتضنتهُ إلى قلبي !! كان موقفاً مؤثراً مؤلماً ... لم يستطع « خالد » الصمود أمامه ... فانفجر بالبكاء ... ولم أتمالك نفسى أنا أيضاً ... فأجهشتُ بالبكاء !! ...

بقينا على هذه الحال لدقائق ... ثم أخذته معى إلى منزلى ... جلسنا سوياً لفترة طويلةٍ وحكى لي « خالد » كل ما جرى له بعد تركه « لحلقة القرآن » ... وأن حاله قد تغيرت منذ فارقنا ...

أخبرتُ « خالداً » بأن والده هو الذى طلب منى أن آتيه ... وأدعوه للعودة إلى « حلقة القرآن الكريم » فى المسجد !! ... وأخبرته أن والده قد أصبح يحب الصالحين والمتدينين !! ... ودعوتهُ إلى التوبة النصوح ... فتحتُ له أبواب الأمل والرجاء فى رحمة الله تعالى ... حثثتهُ على العودة إلى المسجد والمصحف ومخالطة الصالحين ...

طلبتُ منه وبإلحاح شديد ... أن يعود إلى درب الهداية والإلتزام ...

ولما أكثرتُ عليه الإلحاح ... انفجر باكياً وهو يقول :

صدقنى يا أستاذ « سلمان » أننى أتمنى أن أعود إليكم ... وإلى المسجد

وإلى درب الهداية والاستقامة ... ولكننى لا أستطيعُ ذلك ... لا أستطيع !! ... لقد دمّر « أبى » بظلمه وقسوته وكراهيته للصالحين والملتزمين كل شيء جميلٍ وسامٍ فى حياتى ... !! ...

لقد أصبحتُ أعيش فى هذه الحياة بلا هدف كريمٍ ... أو غاية نبيلةٍ أسعى لتحقيقها والحصول عليها ... لقد أصبحتُ لا أُطيق الصبر عن المخدرات والأفلام والنساء والسهرات والسفريات !! ...

لقد فات الأوان يا أستاذ « سلمان » !! ... لقد انتهى كل شيء !! ... فدعونى أسير فى هذا النفق المظلم حتى أصل إلى نهايته ... والله أعلم ماذا ستكون النهاية ؟!! ...

وقبل أن يُفارقنى « خالد » نظر إليّ نظرةً حانيةً لطيفة وقال :

أستاذ « سلمان » ... ادعُ الله أن يغفر لي ذنوبى وجرائمى ... وادعُ الله على « أبى » الظالم الذى قادنى إلى الهاوية !! ...

ثم انصرف « خالد » عنى والدموعٍ تنحدر من مقلتيه ... ولسان حاله يقول : هذا ما جناه أبى عليّ ... لا ما جنيته على نفسي !! ...

انقطعت أخبار « خالد » عنى بالكلية بعد تلك الحادثة ... وعلمتُ من أبيه أنه قد ازداد بعدها قسوةً وغلظةً وشراسةً معه ... وازداد ضلالاً وعناداً وانهماكاً فى المعاصى ... وظللتُ أدعو الله له بالهداية والصلاح دائماً ...

وفى ذات ليلة مظلمة حالكة السواد ... وقبيل الفجر بقليل ... خرجتُ من البيت لشراء دواء لأحد أطفالى ... من إحدى الصيدليات المجاورة ... وكان طريق يمر على منزل « خالد » ... فلفتَ نظرى وجود سيارات شرطة عند باب منزله !! ... ترجلتُ عن سيارتى مسرعاً ... واتجهتُ إلى منزل « خالد »

لأستطلع الخبر ... فلقيتُ أحد إخوة « خالد » واقفاً على الباب ... والدموع تتحدر من عينيه ... سألته عن الخبر ... فأخبرنى بالكارثة الفظيعة !! ... والمصيبة المؤلمة !! ...

لقد عاد « خالد » إلى البيت قرب الفجر ... وكان مخموراً سكران يهذى !! ... طرقَ باب البيت بعنفٍ ... حاولت الأم أن تفتح له ... ولكن « أبا خالد » منعها من ذلك !! استمر « خالد » يطرق الباب بقوة وعنفٍ ... فخرجَ له أبوه ليطرده عن الباب !! ... ودخل الإثنان فى شجار وسباب مقذعٍ !! ... وشتم «خالدٌ » أباه ... وحاول أن يمدَّ يده عليه !! بدون وعيٍ أو شعورٍ منه !! ... وحاول الأب أن يُدافع عن نفسه !! ... فضرب « خالداً » بعصا غليظةٍ كانت معه على رأسه !! ...

جنَّ جنون « خالد » عندها ... فأخرج سكيناً من جيبه !! ... وهوى بها على جسد والده العجوز !! .. وطعنه بها عدة طعناتٍ متتابعةٍ !! ... سقط الأب على الأرض مُضرَّجاً بدمائه !! ... وأما « خالد » فقد ولّى هارباً ... جاءت سيارة الإسعاف فحملتْ الأب إلى المستشفى بين الموت والحياة !! ...

قال الأستاذ « سلمان » : وفى الصباح ... علمتُ أن الأب قد لفظ أنفاسه الأخيرة فى المستشفى !! متأثراً بالطعنات التى أصابت جسده ... وأما « خالد » فتم القبض عليه وإيداعه السجن ... تمهيداً لتحويله إلى المحكمة الشرعية ليواجه مصيره المحتوم ... الموت !! ...

وخرجنا فى جنازة « أبى خالد » ... لقد كانت جنازة مأساويةُ مبكيةً !!...

وبعد أن دفنا « أبا خالد » فى قبره ... وانصرف المشيعونَ ... وقفتُ على القبر ... ودعوتُ له بالتثبيت ... ثم قلتُ له :

يا أبا خالد : هل تسمعنى ؟!! ...

يا أبا خالــد : ذاك زرعكَ !! ... وهــذا حصادكَ !! .. فذُق مرارةَ ما جنتهُ يداكَ !! ...

فما أبشعه من حصاد !! ... وما أقساها من نهاية مريرة دامية !!

فهل فهم الآباء والأمهات هذا الدرس جيداً قبل فوات الأوان ؟!! ... .



متعة أسبوعين تساوي ضياع أسرة [1]

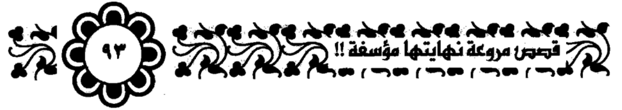
هذه قصة شاب وصل إلى المرحلة الجامعية بعد كد وتعب وعناء ، لم يبق على تخرجه من الجامعة إلا عام واحد ، قرر أن يسافر إلى الخارج دون علم الأهل لأنه يعرف جيداً أن والديه سوف يرفضون مبدأ فكرة السفر إلى الخارج للسياحة كما تعود شباب هذا الجيل ، هذا الشاب عندما راودته فكرة السفر إلى الخارج قبل انتهاء العام الدراسى بثلاثة أشهر تقريباً بدأ يسأل نفسه ويجادلها حتى يخترع الأكاذيب والأباطيل التى تقنع والديه بسفره إلى الخارج وفى نهاية المجادلة والمحاورة مع نفسه وصل إلى عذر وحل نهائى يستطيع عن طريقه إقناع والديه وتحقيق حلمه ورغبته ، هذا الحل هو أن يقول لوالده أنه سوف يسافر إلى إحدى المدن داخل وطنه للترويح عن النفس بعد عناء عام كامل حافلٍ بالجد والاجتهاد والمثابرة .

اقتنع الوالد المسكين بكلام ولده واستسلم لمغرياته وأعذاره ، ووافق على سفره إلى المدينة التى حددها له ، قام هذا الشاب بالإسراع فى تجهيز نفسه قبل أن يرجع الأب فى كلامه وأول شيء بدأ به هو التقدم بطلب إلى مدير الجوازات لاستخراج جواز سفر ، وتحقق له ما كان يريده وينقصه استخرج الجواز دون علم الأهل .

عاد إلى منزل الأهل فرحاً مسروراً بشوش الوجه فقد أنجز أهم عمل يساعده

---

(١) نبضات واقعية ، لبولغيث محمد ناصر عامرى .



في رحلته الداخلية كما زعم .

في اليوم المحدد للسفر طلب هذا الشاب من والده أن يعطيه مبلغاً معيناً يساعده على قضاء حوائجه في هذه الرحلة والتي لا تستغرق أكثر من اسبوعين ...

وافق الوالد وأعطى ولده المبلغ الذي يكفيه لمدة أسبوعين ، ودع هذا الشاب أهله وانطلق إلى أحد أصدقائه لكي يوصله إلى المطار وفي طريقهم إلى المطار صارح هذا الشاب صديقه وقال له : إنني لن أسافر إلى المدينة التي زعمتُ أنني مسافر إليها ، بل سوف أسافر إلى الخارج ، ولأنك صديقي فإني أصارحك وأرجو ألا تخبر أهلي بهذا الموضوع ، فهذا سر بيني وبينك ، وسيكون بيننا اتصال هاتفي عن طريقه نأخذ الأخبار من بعضنا .

استقبل الصديق الخبر دون أن يحاول مع الشاب في الرجوع عن فعلته هذه ، جلس هذا الشاب هو وصديقه في صالة المغادرين للرحلات الدولية بالمطار بانتظار موظف المطار ليعلن عن موعد إقلاح الرحلة ... وما هي إلا لحظات حتى أعلن عن قرب إقلاع الرحلة الدولية والمتجهة إلى ... ؟! .

ودع هذا الشاب صاحبه وصعد إلى الطائرة دون تردد في العودة بل على العكس كان فرحاً مسروراً بهذه الرحلة وبعد مرور عدة ساعات وصل هذا الشاب إلى المدينة التي يقصدها ونزل بمطارها واستقل سيارة أجرة متجهاً إلى أحد الفنادق المتوسطة لقضاء فترة الراحة والاستجمام بها بعد تعب وإرهاق ألمّ به أثناء السفر .

عند دخوله الفندق طلب من موظف الاستقبال بالفندق أن يعطيه غرفة ذات سرير واحد ثم طلب منه مشروباً روحياً كما يقال ، وهو نوع من

المسكرات ، فهو فى عجلة من أمره يريد أن يلحق السهرة فقد جاء فى وقت قد بدأت فيه السهرة فى الفندق .

دخل الشاب غرفته وغير ملابسه بعد أن أخذ حمام وماهى إلا لحظات حتى دخلت عليه فتاة جميلة وسيمة ذات جسم رشيق كاسية عارية وبيدها ما طلبه .

اندهش الشاب من المنظر الذى أمامه وقام بفرك عينيه فهو بين مصدق ومكذب ثم أخذ الكأس وقال لها بكل احترام وتقدير « شكراً جزيلاً » باللغة الانجليزية .

ذهبت هـذه الفتاة وهو ما زال مستغرقاً فى التفكير ، وصورتها لا تفارق عينه ، فهذه أول مرة فى حياته يرى مثل هذه المغريات ، وفتاة بهذا الجمال والجسم والرشاقة وبهذه الملابس . بالرغم من التعب والإرهاق لم يبالِ بل استغرق فى الشرب والتفكير حتى وصل إلى حل وهو أن ينزل إلى المرقص أو البار الموجود بالفندق لكى يشبع عينه بالنظر ويشبع معدته بالشرب ناسياً ومتناسياً للأهل والوطن ودون وازع دينى يردعه .

دخل المرقص وهو متردد خائف بل يرتجف من الخوف فهو لا يفهم لهجة الحاضرين وليس معه من العلم إلا القليل ، جلس هذا الشاب فى إحدى زوايا المرقص ينظر إلى الفتيات الكاسيات العاريات وهن يرقصن ويترنحن يمنة ويسرة بسبب المشروبات وهو فاغر فاه يريد أن يشاركهم ولكن الخوف يمنعه .

وماهى إلا لحظات حتى جاءته فتاة تشبه الفتاة التى قابلها فى غرفته ولكن بلباس مختلف فجلست معه على نفس الطاولة وطلب لها بعض المشروبات الغازية ودار بينهما حديث مبدئى – تسأله ويسألها – وأثناء الحديث اتضح أن

الفتاة التى جالسة معه هى نفس الفتاة الموظفة بالفندق والتى جاءت له بالطلب فى غرفته . وعندما سألها لماذا غيرت ملابسها « ملابس العمل الكاسية العارية » وجاءت للجلوس معه ؟ قالت له : أنا موظفة بهذا الفندق منذ عدة سنوات وأقوم بتوصيل الطلبات للمقيمين داخل الفندق من مختلف الجنسيات وعندما تنتهى فترة عملى أقوم بتغيير ملابسى وأنزل إلى المرقص كى أتعرف على نزلاء الفندق الجدد وأجلس معهم وقد جلست معك لأننى عرفت أنك من دولة .... ؟! عن طريق موظف الاستقبال وأحببت أن أعرفك على نفسى وعلى نظام الفندق هنا .

بعد قضاء ثلاث ساعات أو أربع فى المرقص نهض هذا الشاب من مكانه وهو لا يستطيع الحراك ، فقامت الفتاة بمساعدته حتى أوصلته إلى غرفته ، وما إن وصل الغرفة حتى رمى بنفسه على السرير دون حراك وغط فى نوم عميق .

وفى الصباح استيقظ من نومه مندهشاً من منظره ومستغرباً من وجود الفتاة بجانبه فنهض مفزوعاً وقال لها : ماذا حدث ؟ وماذا تفعلين هنا ؟ ومن سمح لك بالدخول والمبيت معى ؟ فقالت : اهدأ ، فأنت فعلت كذا وسمحت لي بالدخول ، والمبيت معك على علم من إدارة الفندق بذلك ، واطمئن لن يصيبك أذى ، ثم قامت بتهدئته بنوع من العذوبة والحنان حتى استسلم إلى مغرياتها ، ورجع إلى سريره يكمل نومه .

وعندما استيقظ من نومه مرة أخرى وجد الفتاة أمامه قد أحضرت بعض الأطعمة والمشروبات وهيأت الجو المناسب للتحدث والأكل مع بعضهما .

قام هذا الشاب وهو يحس بدوار وصداع فأخذ حمام لكى يكون نشيطاً ثم عاد وجلس مع الفتاة وأكلا وشربا ، بعد ذلك نهضا واستعدا للخروج خارج

الفندق والتجول داخل المدينة والتعرف على معالمها مع علم الإدارة أيضاً بذلك ، فهذا نوع من عملها لكى تكسب صداقة النزل وتغريه ، وفى نهاية المطاف تأخذ منه كل ما تريد لمصلحة الفندق وتعطيه كل ما يريد وأهمها ... ؟!! ..

وبعد قضاء أجمل الأوقات وأسعدها عادا إلى الفندق وواصلا سهرتهما بشرب المسكرات والزنا وهكذا مدة إقامته فى الفندق سهر وشرب وزنا حتى انته الأسبوعان وهى المدة التى حددها لأهله ، وقبل أن تنقضى هذه المدة بيوم ذهب لتأكيد الحجز ثم إلى الأسواق لشراء بعض الهدايا للأهل والأصدقاء ثم عاد للفندق لتكملة السهرة فيه .

وفى الصباح وقبل موعد السفر بساعة ودع الشاب محبوبته وداعاً حاراً ووعدها بالمجئ مرة أخرى عندما تكون الفرصة سانحة له وأخذ منها عنوانها ورقم هاتفها وأيضاً مجموعة صور فوترغرافية تجمع بينهما .

وقبل أن يخرج من الفندق أخبرته برغبتها فى المجئ معه لكى تودعه وهو راكب الطائرة متوجهاً إلى وطنه وأهله فوافق .

عاد هذا الشاب إلى وطنه وهو فى أشد الفرح والسرور لمقابلة الأهل والأصدقاء وفى نفس الوقت فى أشد الحزن والآسى على فراق محبوبته الفتاة الجميلة التى ودعته فى المطار .

كان مُستقبله فى المطار هو صديقه الذى أوصله المطار عند سفره ، فقام هذا الشاب يحدث صاحبه ويفتخر بما فعله فى تلك المدينة من معاصى ويرغّب صديقه بالسفر معه فى المرة القادمة .

وصل الشاب إلى منزل أهله فرحاً مسروراً يحمل فى حقيبته الهدايا الجميلة الغريبة التى لا يستطيع أحد أن يكشف من أين مصدرها هل من الوطن أم من

بلد آخر ، استقبل والده وأخوته وجلس معهم عدة دقائق معدودة ثم استأذن من الأهل معتذراً بالنوم والتعب والإرهاق وصعد إلى غرفته لينام ، عندما امتد على سريره جلس يتذكر أيامه الحلوة التى قضاها فى تلك المدينة مع تلك الفتاة الجميلة وقام بإعادة شريط الذكريات من لحظة وصوله المدينة حتى صعوده الطائرة فى طريق العودة .

وفى اليوم الثانى جلس الشاب مع والديه يتبادلان الحديث حول رحلته هذه وكيف قضاها وأين ؟ والإبن يجيب على أسئلتهم بالأكاذيب والأباطيل حتى لا يشك والده فى أنه سافر إلى الخارج ، وبعد ما يقارب السنة أصبح هذا الشاب من خريجى الجامعة ومن موظفى إحدى الشركات يشغل منصباً عالياً له كلمته وسمعته .

بعد هذه السنين رجع الشاب فى التفكير فى الفتاة الجميلة حتى قرر أن يتزوج من إحدى قريباته لكى ينساها بتاتاً ففاتح والده بموضوع الزواج فوافق الأب وأبدى رغبته فى أنه يتمنى أن تكون ابنة أخيه زوجة لابنه .

فوافق هذا الشاب على الزواج من ابنة عمه وقام بالاستعداد لإنهاء أمور الخطوبة والملكة وحفل الزفاف بعد أن تحدد كل شيء فى وقت قصير جداً .

أخذ هذا الشباب أجازة لمدة شهر من مقر عمله لأنه يرغب فى الزواج ، وبعد أن تمت مراسم حفل الزفاف بمدة قصيرة قضى أول شهر من زواجه بين الأهل والأصدقاء فى وطنه .

وبعد مرور شهرين أو ثلاثة أشهر أصبحت زوجته حاملاً وسوف يكون أباً ، فعند سماعه لهذا الخبر فرح فرحاً شديداً ، ولم تكن الدنيا تسع لفرحته هذه ، انتظر هذا الشاب فترة الحمل بكل شوق فهو يعد الليالى والأيام والساعات والدقائق ينتظر أول مولود له ومتى يقال له : ألف مبروك رزقت بولد أو بنت .

وفي يوم من الأيام وقبل ولادة زوجته بشهر تقريباً حصل لهذا الشاب حادث مروع أدى إلى إصابته في الرأس نتج عنه نزيف في قاع الجمجمة أُدخل من خلاله المستشفى في قسم العناية المركزة ، وبعد مرور اسبوعين من الحادث بدأ يفيق هذا الشاب من غيبوبته حيث سبب له النزف غيبوبة وبدأت حالته تتحسن .

بعد شهر نقلت زوجة الشاب إلى المستشفى حيث بدأت علامات وأعراض الولادة تظهر عليها وفعلاً ولدت هذه الزوجة ورزقت بمولود ذكر ، ووصل خبر الولادة إلى الشاب وأنه رزق بمولود ذكر ففرح فرحاً شديداً لأنه أصبح أباً وبدأت حالته في تحسن مستمر .

وفجأة وفي يوم من الأيام بدأت تظهر علامات غريبة على هذا الشاب ، ارتفاع في درجات الحرارة ، عرق ليلي غزير ، تضخم في الغدد اللمفاوية وخاصة الموجودة في العنق وتحت الإبط ، إسهال ونقص في الوزن ، سعال شديد وجاف .

عند ذلك قرر الأطباء عمل تحاليل مخبرية وفحوصات عاجلة لمعرفة السبب ، فهذه كلها علامات الإصابة بمرض العصر « الإيدز » .

أظهرت جميع نتائج التحاليل أن هذا الشاب مصاب بالإيدز ويؤكدها جميع الأطباء الاستشاريين بالمستشفى من مختلف التخصصات ، كل هذه التحاليل والفحوصات عملت دون علم الأهل بنتائجها فتم نقل الشاب إلى غرفة معزولة بعيداً عن المرضى الآخرين ومنعت الزيارة عنه ، فقلق أهل الشاب عليه وسألوا الطبيب عن سبب العزل لابنهم .

فأخذ الطبيب والد الشاب إلى مكتب الخدمة الاجتماعية بالمستشفى

وأخبره بحالة ابنه وما هو المرض الحقيقى الذى يعانى منه الآن بغض النظر عن الحادث الذى وقع له .

فكانت الصدمة الكبرى للأب والأهل ، فقال الأب كيف أصيب بهذا المرض ؟ ، ومتى ؟ ، وتجمعت فى مخيلتهم مئة سؤال وسؤال .

وفى نهاية الأمر قرر الأب أن يدخل إلى ابنه فى غرفته ويستأذن الطبيب فى زيارة ابنه ، فوافق الطبيب ودخل الأب على ابنه وهو يبكى تتساقط دمعاته من عينيه وهو يقول : اصدقنى القول يا ابنى أريد إجابة على أسئلتى واستفساراتى ، فقال الابن وهو لا يدرى بالموضوع ، أصدقك القول يا أبى ، فسأله والده وقال له : أين سافرت ؟ ومع من ؟ فقال الشاب : سافرت إلى مدينة ...... المدينة التى حددها داخل وطنه سابقاً لكى يوافق والده على سفره ، ومع أصدقائى ؟ فقال الأب تكذب عليّ ، لقد سافرت إلى مدينة فى الخارج ، مدينة يُحل فيها الحرام ، وشربت الخمر والمسكرات ، أليس كذلك ؟ ، فأجاب الشاب بقوله : نعم ، فقال الوالد : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ولم يكمل مقولته هذه حتى أصيب بصدمة نتج عنها شلل رباعى .

علم الشاب : أنه السبب فى ما حصل لوالده ولكنه لم يعلم إلى الآن أنه مصاب بمرض الإيدز .

علم الأهل بما فيهم زوجته بحالته فقررت هى أيضاً أن تزوره فى غرفته فذهبت إليه ودخلت عليه وهى باكية وقالت له : لقد ظلمتنى وظلمت ابنك الرضيع والذى لم ولن تراه بعد اليوم .

فقال : كيف ظلمتك وظلمت ابنى وكيف تقولين أننى لم ولن أراه بعد اليوم ؟ .

فقالت : هل تعرف ما هو مرضك ولماذا أصيب عمى بشلل رباعى ؟ .

فقال فى تخوف : مجرد إصابة فى الرأس بسبب الحادث الذى وقع لي .

فقالت : يا ليته هكذا ؟ .

فقال : إذن ما هو مرضى أخبرينى ؟ .

فقالت وهى تبكى بكاءاً شديداً : إنك مصاب بمرض الإيدز .

فقال : ماذا ؟! ... مرض الإيدز ... فأصيب بأزمة قلبية أدت إلى وفاته على الفور .. والزوجة واقفة أمامه تنظر إليه معتقدة أنه قد اغمى عليه بسبب هول الخبر ، فاستدعت الطبيب ليراه ؟ وعند فحصه اتضح أنه قد فارق الحياة وأخبر زوجة المتوفى بحالته فسقطت مغشياً عليها .

ودخل الأهل الغرفة بعد سماعهم صراخ الزوجة ينظرون إليها وإلى زوجها وهما فى حالة يرثى لها وقاموا بنقل الزوجة إلى قسم الإسعاف بالمستشفى وقام موظفو القسم بتجهيز الشاب المتوفى وتكفينه مؤقتاً حتى تكتمل جميع الأوراق الخاصة بحالات الوفاة بالقسم .

وفى اليوم التالى وبين بكاء النساء والأطفال قام أقرباء الشاب المتوفى بالذهاب إلى المستشفى لاستلام جثته ودفنه ووضعه فى أول منزل له من منازل الآخرة .

ومع مرور الوقت اكتشف الأطباء أن هذه الزوجة وابنها مصابان بمرض الايدز فتحطمت الزوجة وأصيبت بحالة هيستيرية عندما علمت بأنها مصابة هى وابنها بالإيدز ونقلت إلى مستشفى الصحة النفسية على الفور ، وفى مستشفى الصحة النفسية بدأت تزداد حالة الزوجة سوءاً حتى أصيبت بالجنون فعُزلت عن جميع المرضى حتى لا تؤذيهم ومنعت الزيارة عنها أيضاً .

وذات يوم من الأيام طلب والد هذه الزوجة من الطبيب المعالج بالسماح لها بأخذ الزوجة إلى المنزل لترى ابنها وأمها ، فوافق الطبيب على ذلك بعد أن تعهد والد الزوجة بأنه مسئول عما ستفعله هذه الفتاة من أذية لنفسها ولابنها .

في المنزل عندما شاهدت الزوجة طفلها احتضنته بقوة وهي تبكي وتضحك واضعة وجهه على صدرها فانقطع نفس الطفل ومات بين يديها وهي مازالت تحتضنه .

حاول والد الزوجة أن يأخذ الطفل من يد أمه فلم يستطع وبعد عدة محاولات أخذ الطفل ولكن بعد فوات الأوان وعندما شاهدت الزوجة طفلها بدون حراك قامت بالرقص والضحك والبكاء معاً وهي تقول : مات لقد مات ؟!! ..

فذهبت مسرعة إلى المطبخ وأخذت سكيناً وقامت بتهديد أبيها وأمها ثم صعدت إلى غرفتها وأغلقت على نفسها الباب ثم ربطت حبل بالمروحة وشنقت نفسها ... فقام والدها بالاتصال بالشرطة لمساعدته فهو كبير في السن ، وما هي إلا لحظات حتى وصلت الشرطة إلى العنوان ودخل رجال الشرطة المنزل ، فأخبرهم والد الفتاة بالقصة وإن ابنته في غرفتها في الدور العلوى .

صعد رجال الشرطة إلى الغرفة وكسروا الباب فوجدوا الفتاة معلقة بحبل مربوط بالمروحة وقد فارقت الحياة ، وهكذا كانت نهاية الشاب واسرته ولكن ماذنب الأم وطفلها البرئ ؟!! ..

فهل من توبة ياشباب ؟!! وهل من رقابة يا أيها الأباء ؟!! ...



قصة فتاة في أسواق الفيصلية نصحها شاب ملتزم فاستهزأت به !!!

كانت فتاة فاتحة عباءتها ولبسها غير ساتر فى أسواق الفيصلية فمر عليها شاب ملتزم وقال لها ناصحاً : لو جاءك ملك الموت ماذا تفعلين ؟!! .

فقالت له بكل جرأة : اتصل على جَوال ربك - المحمول - يجيب لى ملك الموت !!! ...

يقول الشاب :

خفت من بشاعة قولها وإرتعدت وهربت وأحسست بمجمع الفيصلية يكاد يسقط علينا ، فتوجهت مسرعاً للخروج من مجمع أسواق الفيصلية ، وإذا بى أسمع صوت صراخ وصياح ، فعدت وإذا بى أرى الناس مجتمعين حول الفتاة وصوت البكاء والصياح فى كل مكان ، فتبين لي أنها الفتاة التى كلمتها وقمت بنصحها وعلمت أنها سقطت على وجهها وتوفيت فى الحال ، وانتهزت الفرصة ووقفت وأخبرتهم قصتى معها وإنها قالت لي كذا وكذا ، فأخذ الحضور يبكون ويخرجون من المجمع .

وللتأكد من واقعية القصة اسألوا الذين يعملون بالمحلات فى المجمع وحراس الأمن [شعبان ١٤٢١هـ] .

اللهم نسألك حُسن الخاتمة والعفو والعافية فى الدنيا والآخرة والنجاة من النار ، اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، اللهم اغفر لها ولجميع موتى المسلمين - آمين - .

قصة شريف عفيف (١)

خرج أبو عبد الله يلتمس رجلاً يرمّ له شيئاً من منزله ، فأشير عليه برجل يجلس فى زاوية الشارع ، حسن الوجه ، بين يديه مزود وزنبيل ، فجاءه أبو عبد الله يعرض عليه العمل ، فطلب منه ديناراً واحداً ، فأعطاه وجاء الرجل يعمل لا ينبس ببنت شفة ، حتى إذا ما انتهى من شغله تناول أجره ، وحمد ربه وانصرف .

واحتاج أبو عبد الله إلى ترميم آخر ، فجاء المكان نفسه ، فلم يجده ، وأُخبر أنه لا يرى إلا فى يوم واحد من كل أسبوع ، فجاءه فى الموعد المحدد ، فطلب منه ما طلب فى المرة الأولى ، واتفقا على ذلك ، فلما انتهى من شغله أعطاء عبد الله بعض دينار ، فقال الرجل :

- ألم أطلب منك ديناراً على عملي ؟ .
- يكفيك نصفه يا رجل ، فالعمل بسيط .
- لست آخذ شيئاً .
- خذ هذا نصفك الآخر .
- لن آخذ شيئاً .

وانصرف الرجل فى همٍّ وغمّ ، وتبعه أبو عبد الله ، وحاول أن يعطيه حقه فما قبل منه شيئاً .

---

(١) شريف عفيف للدكتورة زينب جلكى .

وحدث أبو عبد الله زوجته بما كان ، فقالت له :

● أنت لا تدرى من أحوال الناس ما يعلمه الله ، وللناس أسرار وربما أفسدت عليه حياته ، ولعلّه لم يكن من ذوى العمل ، فألجأته الحاجة إلى ذلك .

ومرت الأيام ... وسأل أبو عبد الله عن الرجل فأخبر أنه مريض ، فاغتنمها فرصة ليرد إليه أجره الذى بقي فى ذمته ... وذهب إليه يعوده ، فما رأى فى البيت شيئاً إلا حصيراً ومزوداً وزنبيلاً ...

قال أبو عبد الله فى نفسه :

● كيف يعيش هذا فى بيت خلوٍ من كل شيء ... وسكت قليلاً وهو يفكر فى أمره ... ثم نظر إلى صاحب الدار وقال له :

● لي إليك حاجة يا أخى ..

● ما هى ؟ .

● أنت تعلم ثواب من أدخل السرور إلى قلب المؤمن .

● ماذا تقصد ؟ .

● تأتى إلى بيتى لأمرّضك ، فأنت هنا وحيد لا زوج لك ولا ولد .

● أتحب ذلك ؟ .

● نعم .

● إذاً بشرائط ثلاث ..

● وماهى ؟ حللت يا أخى أهلاً ونزلت سهلاً .

● هى ألا تعرض عليّ طعاماً حتى أسألك .

● الأمر سهل إن شاء الله .

● والثانى إن متُّ فادفني بكسائى وجبّتى .

● ولِمَ ؟ ...

● لأنها من كسب يدي .

● أطال الله عمرك يا رجل ، ولا زلت فى ريعان الشباب .

● والثالث ؟ ... وسكت قليلاً ... فقال أبو عبد الله :

● وما هو يا رجل ، أنا مستعد أن أنفذ رغباتك كلها .

● أمر يصعب تحقيقه ، سأحدثك عنه فى الليلة القادمة إن شاء الله ... ومضى الاثنان فى طريقهما إلى بيت أبى عبد الله ... وأُكرم الرجل ... وسعد المضيف بثواب ربه يناله على تمريض رجل لا ولد ولا زوج له ، فلما كان اليوم التالى نادى العامل المريض صاحبه ، وهو متعب منهك :

● يا أبا عبد الله !! .

● خيراً إن شاء الله ، ما شأنك يا أخى ؟ .

● إنى أحتضر ...

● أطال الله عمرك يا رجل ، ولِمَ يخطر فى بالك مثل هذه الأمور ، لازلت فتي فى مقتبل عمرك .

● دعك من هذا ، وافتح صرة على كمّ جبتي ..

وفتح أبو عبد الله الصرة فهاله ما رأى ... خاتم عليه فص أحمر من الياقوت ، لا يملكه إلا الأغنياء المترفون ، فقال أبو عبد الله :

● ما هذا ؟ .

● هذا خاتم أبى فلان ...

● أبوك فلان ... أهو وزير العدل ؟! ..

● أجل ...

● أبوك إذاً من عظماء البلد ، فلِمَ كنت تعيش هذه العيشة ؟! ...

دمعت عينا الفتى وسكت وقال أبو عبد الله لنفسه :

● أتراه سرق الخاتم وهو يدعى ما يدعى ؟ ، ثم قال :

● ولكن لا يبدو عليه أمارات الإجرام ... إنه عفيف النفس ، كريم الطابع على ما يبدو ... واصطرعت الخواطر فى ذهن أبى عبد الله ثم قال للرجل :

● أخبرنى يا أخى ما قصتك ؟ إن لك سراً تخفيه بين جوانحك ...

● قلت لك : لى شرط ثالث .

● وما هو ؟

● هو السر الذى أطويه بين أضلعى من سنوات مديدة ... ودمعت عيناه ، وخنقته عبرته ... وغصت الكلمة فى حلقه ولكنه تمالك نفسه وقال :

● إذا أنا مت فخذ هذا الخاتم ،و ادفعه إلى والدي ، وقل له يقول لك صاحب هذا الخاتم : « ويحك لا تموتَنَّ على سكرتك هذه ، فإنك إن مت على سكرتك هذه ندمت » و :

كان دينُ الإسلامِ مُذْ كان هَدْياً ... للبرايا ورحمةً وأماناً

وأغمض الرجل عينيه كمن يريد أن يستسلم للراحة الكبرى وقال له أبو عبد الله بلهجة المتعجب المتألم :

● أفعل ما تحبه إن شاء الله ، ولكن ...

● ولكن ماذا ؟ ...

● أخبرنى عن قصتك وكيف تحول شأنك من حال إلى حال ...

● ستعرف ذلك من أبى ، إن شاء ، وإلا فلا حاجة لأن أكشف أستار الأسرار ... فالله وحده يعلم السر وأخفى ، ولكلٍ حياة فى المعاد ... إن خيراً ، وإن شراً ... سكت أبو عبد الله ، ونظر إلى الرجل ملياً ، ثم قال له :

● لن أثقل عليك يا أخا الإسلام ، ويبدو عليك أنك متعب ، فنم الآن واسترح ...

● سأنام النومة الكبرى ، وأستريح الراحة الأبدية إن شاء الله وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ... وسكت قليلاً ثم قال :

● بلغ والدى حبي له ، وسلامي ، وقل له ألقاك إن شاء الله أمام رب العالمين ... وما هى إلا برهة وجيزة حتى لفظ الفتى أنفاسه والتحق بالرفيق الأعلى ...

وكفّن الرجل ... ووارى الثرى ... وضمّه التراب فيمن ضمّ من سادة وعبيد ، وأثرياء وفقراء ، وظالمين ومظلومين ... جمعتهم حقيقة واحدة لا محيد عنها لأى إنسان ... وسيجمعهم محشر واحد ، ليلقى كلٌ جزاء عمله ...

وعاد أبو عبد الله من المدفن يفكر فى أمر الفتى المسكين ... وفى وسيلة يصل بها إلى الأب الوزير ... ليؤدى إليه الأمانة والنصيحة ...

ثم بدا له أن ينشر فى الصحف وفاة ابن عظيم فى البلد ، كان يعيش فى فقر مدقع ، وكان لديه جوهرة تثبت نسبه ، فإن كان ما قاله المتوفى حقاً فإن أباه سوف يتصل به بالهاتف ... وتواردت هواتف شتى على منزل أبى عبد الله.. وقال أبو عبد الله لزوجته :

● لم أكن أتصور أن رجلاً ينجب ولداً ثم يهمله ... لقد كثرت أمثال قصة هذا الرجل ...

● المجتمع الذى لا يربى أبناؤه على الخلق والإسلام ، يكثر فيه المتشردون واللقطاء ... ينجب رجل هنا وهناك من غريبات أو قريبات ، ثم لا يرى له حقاً ولا واجباً ... لأن المرأة التى استولدها ليست من بنى جنسه أو طبقته !! ..

ولكن أبا عبد الله لم يسلم الخاتم لأحد ، لأنه كان يعرف صاحبه ... وجاءه الوزير يوماً ... ودخل عليه متنكراً لئلا يعرفه أحد ... ورحب به أبو عبد الله ، ثم أخرج له الخاتم ، فلما نظر إليه قال :

● من أين لك هذا الخاتم ؟

● دفعه إليّ رجل بنّاء ...

● بنّاء ... بنّاء ... غريب ... أين هو ؟ .

● يا سعادة الوزير إنه أوصانى وصية ، وأعطانى الخاتم ...

● وما وصيته ؟ ...

● أوصانى إن هو مات أن أعطيك الخاتم ...

وقاطعه الوزير :

● إن هو مات ... مات ؟!!

● هوّن عليك يارجل ... واسمع خبره ...

● هات قصته ... قالها وهو يتحسر ...

وقال أبو عبد الله :

● وأوصانى أن أقول لك : يقرئك ابنك السلام ويقول لك : « ويحك لا

تموتَنّ على سكرتك هذه ، فإنك إن مت عليها ندمت » .

نهض الرجل كالملسوع الحائر ، وتمتم كلمات غير مبينات ، ثم قعد وجعل يقلب بصره حائراً مما رأى وسمع ، ثم قال :

● وأين هو الآن .

● أطال الله عمرك وأمدّ فيه ، لقد انتقل إلى الرفيق الأعلى ...

● مات .

● رحمه الله ، ألم أقل لك إنه أوصانى قبل أن يموت بـ ...

● إذاً مات ... مات ابنى .

وصعق الرجل ... وأجهش بالبكاء ... وهَدّأ أبو عبد الله روعه وخفف عنه مصيبته ... فسكت وأطال الشرود ... ثم قال :

الكـونُ تطحنـه رحـى مدنيـةٍ هوجـاءَ جُلُّ عطائِهـا أوهـامُ

● أتريد رجلاً صدوقاً يعينك على مصيبتك ؟ ...

● آهِ ... لا شيء أريد سوى ... وسكت الرجل ، فقال أبو عبد الله :

● تكلم يا سعادة الوزير ، وسرّك مأمون ...

● فيك أمارات الخير ...

● جعلنى الله عند حُسن ظنك ...

● اسمع يارجل ، واكتب قصتى للملأ ، دون أن تذكر اسمى ومهنتى فلعل الناس يتعظون ...

وجعل الرجل يحدث حديثه ... وقال :

● كان أبى قد ذكر لى ابنة عمى ، وكنت لا أحبها ، ولا أراها تنسجم

معى فى أخلاقى ، كانت فظة الخُلق ضخمة الجسد ، وكنت لا أحب هاتين الصفتين فى المرأة ... و :

تبارك مَنْ أبدعَ الكائناتِ وميَّزَ فى الخَلْقِ أخلاقَهم

وكنت أحب جارية مسلمة تعمل عندنا ، كانت خسيسة الأصل والنسب ، نعم ... وهى لا تناسب أسرتى الشريفة ، ذات المركز المرموق ، ولكنى أحببتها ، وانسجم طبعى وطبعها ، وتجاوب قلبى معها ، فذهبت إلى القاضى ، وحدثته بما أردت ، وسألته كتمان الأمر عن والدي وخوّفت القاضى إن هو نشر قصتى بالطرد من البلاد ، وأهديتها هذا الفص هدية الزواج ، وأسكنتها قصراً فى بلد آخر ، وكنت أزورها فى كل صيف ، وفى العطلات الرسمية وغير الرسمية ...

وسكت الوزير قليلاً ، وتأوّه من أعماق قلبه ثم قال :

● ومر على ذلك سنون طويلة ، وأنا على حالتى هذه ، مطمئن البال قرير العين ، وأنجبت ابنى هذا ، وأغدقت عليهما مالاً كثيراً ، وفجأة ... انقطع عنى خبرها ... ذهبت إليها فلم أجدها وسألت ... فقيل لي إنها ماتت ... نعم ... ماتت .. ودمعت عينا الرجل ... وأجهش بالبكاء ثانية ...

نظر أبو عبد الله إلى الوزير وهو يبكى بكاءً حاراً ، فما نبس بنت شفة ... وإن قلبه ليتفطر ألماً مما يسمع ... ثم قال للوزير ...

● وأين ذهب الولد ؟! ...

● قالوا لي : إن رجلاً أخذه وانتقل به إلى مكان لا يعرفونه ...

وسكت قليلاً ثم قال :

● ولو كنت أدرى أنه فى بلدى ومنطقتى لوصلته ... وأردف :

● وعدت إلى بلادى ... وفى نفسى قلق وحزن ، ولا زال ذكرهما فى قلبى على بعد الزمن وعلو المنصب ... لقد كانت ملاذى عند همى .

قال أبو عبد الله :

● ولِمَ لمْ تصرّح لأهلك بزواجك منها وإنجاب ابنك لتضمهما إلى أسرتك أو تأتى بها إلى ديارك ...

● لعن الله التقاليد الجاهلية ... لقد منعنى ذلك منصبى المرموق ...

● لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

● لعن الله الجاهلية وتقاليدها ..

واغتنمها أبو عبد الله فرصة ليقول :

● وحساب الله سبحانه عسير .. للزوجة حق ، وللولد حق ... والزواج السّرى يشتت الأسر ويجلب لها الشقاء والمعاناة ... سكت الرجل طويلاً ، وهو يقلب كفيه ... ثم قال لأبى عبد الله :

● أين قبره ؟ .

● هو فى منطقة كذا .

● اسمع يارجل : إذا كان بعد المغرب فقف لي بالباب حتى آتيك فأخرج معك إلى قبره .

وركب الرجلان السيارة إلى المقبرة ... وهناك بكى الرجل ما شاء الله له من البكاء ... ومرّغ لحيته فى التراب ... وقال :

● يا بنى لقد نصحت أباك ولكن ... لم أكن أعلم أنت فى بلدى ولم تتصل بى .

وقال له أبو عبد الله :

● هدئ روعك يا رجل ... وقدّر الله وما شاء فعل .

وأعطى الوزير الرجل مكافأة وقال له :

● لئن احتجت إلى أمر ما فأنا لك كالأب الحنون ...

فقال أبو عبد الله :

● لا حاجة لي بالمال يا أخي ، ولكن خذ مني هذه النصيحة :

● هاتها بارك الله بك .

إن دينَ الإسلام شرّعـاً ونهجاً   أكملّ الله وحيّـه دستـوراً

فسدد المنهج وامضِ في حياتك على شرع الله ودستوره :

شِرْعةٌ قد تآخَتْ في سماحتِها   وعدلِها الفذِّ أجناسٌ وألوانُ

● ليتنا أخذنا بها وعلمناها الناس ...

● إذاً لعاش الناس قريري الأعين ، سعداء في ظل الإسلام .

وأخذ كل منهـمـا طريقه ... وإن رأسه ليصطرع بأفكار وأماني هي عبرة ودرس للمعتبرين ، وأمل للمصلحين الصادقين .



الشجاع الأقرع (١)

يقول الراوى « عُينت ضابطاً فى ناحية قريبة من القاهرة ، ومن خلال عملى فى المخفر تعرفت على أحد رجال الحى البارزين فقد كان مساعداً للعمدة ، وكان حريصاً على توثيق صلاته مع رجال المخفر جميعاً ، فقد كان ولوعاً بالتقرب إلى السلطة ، حريصاً على الظهور والرفعة ، فلا ارتياح له إلا بما يحقق له مكانة سامية عند رجال المخفر ، وربما حان وقت الصلاة فأسارع إلى الصلاة وأؤدى الفريضة وأعود وصاحبنا فى مكانه على أحاديثه مستمراً دون سأم أو ملل ، تارة يجذب طرف الحديث إليه وتارة يجذبه رجال الشرطة إليه ... وتمر الأيام وصاحبنا على ما هو عليه حتى وكأنه أحد الموظفين فى المخفر ... وذات يوم وبينما رجال الشرطة يتحدثون إذا بأصوات وجلبة فهبوا ليعرفوا ما الذى حدث ... وسرعان ما علموا أن صاحبهم مساعد العمدة قد مات ، فقالوا جميعاً : إن لله وإنا إليه راجعون .

يقول الراوى : « إن الرجل كان يقدم لنا خدمات كثيرة ويوصل إلينا أخبار ضرورية ويساعدنا فى أمور عديدة ، ولذلك كان من الواجب أن نشيع – نحن رجال المخفر – جنازته ... وصدر الأمر بخروج رجال الشرطة على خيولهم أمام الجنازة ليكون المشهد مهيباً عظيماً ... وتوجهت الجنازة نحو المقر الذى يستوى فيه الأمير والغفير ، والصعلوك والوزير ... وخرجت القرية عن بكرة أبيها يودعون

---

(١) وقائع أغرب من الخيال للعثمان « بتصرف واختصار »

مساعد عمدتهم الوداع الأخير ، لقد كان الموكب مهيباً والمشهد رهيباً ... الكل صامتون وكأن على رؤوسهم الطير ، ولكن أمراً مذهلاً قطع عليهم صمتهم وغير حالهم وبدد هدوءهم ، إذا بالخيول تضطرب اضطراباً عظيماً ، وإذا بالناس يهيجون ويموجون ويرتبكون فما الذى حدث : يقسم راوى القصة بالله رب العالمين فيقول : ما إن اقتربنا من قبر الرجل الذى حفر له ، وإذا بثعبان عظيم أقرع قد فتح فمه الواسع وتوجه نحو الجنازة يسارع بكل شجاعة وقوة ، فخاف الناس أشد الخوف وألقوا بالجنازة على الأرض ثم تراجعوا عنها بعيداً بعيداً ، واجتمعوا من جديد وظلوا يتشاورون فى هذه المشكلة وفى النهاية اتفقوا على أن يتقدم شابان جلدان لينظروا ما حدث للجنازة ، ويحملانها إن أمكن وفعلاً زحف الشابان نحو الجنازة فعرفا أن الثعبان قد ابتعد عنها ثم حملاها على تخوف ورعب إلى الجماعة حيث اتفقوا بعد المشاورة على حفر قبر جديد بعيد عن القبر الأول بحوالى خمسمائة متر ... .

وتقدم القوم بالجنازة فى رعب شديد واضطراب كبير ... وما أن اقتربوا من القبر الجديد حتى شاهدوا ذلك الثعبان العظيم قد عاود الكرة وتوجه من الحفرة الجديدة نحو الجنازة فى شجاعة ومهارة ... فأسقط فى أيدى القوم وألقوا بالجنازة على الأرض والخوف يملأ القلوب والذعر يتملك القوم ثم أطلقوا أرجلهم للريح ، وأصبح البعض الآخر يولول ويصيح ، ثم اجتمع القوم من جديد فى مكان بعيد عن الثعبان ... ووقف بهم شيخ القرية خطيباً وواعظاً منادياً بأعلى وأخلص صوته : أيها القوم إنه والله لدرس لكم يجب ألا ينسى ، وعبرة لقلوبكم يجب ألا تمحى لقد أراد الله تعالى بحكمته أن يريكم عجائب قدرته وقوة قهره وشدته فتوبوا إلى ربكم توبة نصوحاً ، وأعطوه عهداً صحيحاً على عدم العودة إلى الذنوب ثم أشار إليهم أن ينتظروه حتى يكلم الثعبان ... .

وتوجه نحو الثعبان قائلاً بأعلى صوته : أيها الشجاع الأقرع ، أخبرنا عنك رسول الله ﷺ ونحن نطلب منك أن تبتعد عنا حتى ندفن هذا الميت ثم افعل به ما أُمرت وما شئت وعذبه ما أُمرت ، فاستجاب بإذن الله ذلك الثعبان ، وغاب عن الجمع الموجود ، فتقدم القوم نحو الجنازة وقربوها من قبرها ورموه فى القبر رمياً وكأنه بهيمة من البهائم ولم يجرؤ أحد منهم على إنزاله ثم أهيل على الجثة التراب بكل سرعة والدموع تنهمر من الخوف والخشوع ، وعاد القوم وهم لا يصدقون أنهم انتهوا من هذه الكارثة الشديدة واستولى الخوف عليهم أياماً متوالية وصورة الثعبان أمام أعينهم ماثلة باقية .

ويقسم راوى القصة بالله فيقول : والله الذى لا إله غيره ما تحدثت إلا بما رأيت ولا تكلمت إلا بما شاهدت رأى العين دون أى مبالغة أو زيادة ، ثم يضيف : لا تعجب من عقاب الله الأليم لهذا الرجل المجرم ، فقد كان هذا الرجل تاركاً للصلاة مانعاً للزكاة مطيعاً للشيطان ، يقضى أيامه فى اللهو والمجون والغيبة والنميمة ... ولقد نصحته مرات عديدة ووعظته طويلاً فلم يقبل نصحاً ، ولم يترك ذنباً ولم يصلح عيباً ولم يحسب حساباً ليوم موته ودفنه حتى أدركه المنون ولعنه اللاعنون » [1] وصدق الله العظيم ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ ﴾ [الحشر : ٢] .



(١) حكى الشيخ / سعيد بن مسفر فى شريط له فى قصة قريبة من هذه القصة وفى نهايتها أن الثعبان خرج فى المرة الثالثة والتف حول الميت واشتد عليه حتى سمعوا صوت تكسير عظامه ... ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قصة مأساتي ومأساة أختي سارة (١)

هذه قصة مأساة نوردها لكم لعل الغافل ينتبه والعاصى يتعظ ، وإليكم القصة: شاب ميسور الحال من أسرة كتب الله لها الستر والرزق الطيب والمبارك، يقول : منذ أن نشأنا ونحن نعيش سوياً يجمعنا بيت كله سعادة وأنس ومحبة ، في البيت أمي وأبي وأم أبي « جدتي » وإخواني وهم ستة وأنا السابع وأنا الأكبر من الأولاد والثاني في ترتيب الأبناء فلي أخت اسمها سارة تكبرني بسنة واحدة فأنا رب البيت الثاني بعد أبي ، والكل يعول عليّ كثيراً ، استمريت في دراستي حتى وصلت للثاني ثانوى وأختى سارة في الثالث الثانوى ، وبقية إخوتى في طريقنا وعلى دربنا يسيرون ، أنا كنت أتمنى أن أكون مهندساً ، وأمى كانت تعارض وتقول بل طياراً ، وأبي في صفي يريد أن أكون جامعياً في أى تخصص ، وأختى سارة تريد أن تكون مدرسة لتعلم الأجيال الدين والأدب ... ولكن ويالالأحلام ويالالأمنيات ، كم من شخص انقطعت حياته قبل إتمام حلمه ، وكم من شخص عجز عن تحقيق حلمه لظروفه ، وكم من شخص حقق أحلامه ولكن أن يكون كما كنا لا أحد مثلنا ، انقطعت أحلامنا بما لا يصدق ولا يتخيله عاقل ولا مجنون ، ولا يخطر على بال بشر .

تعرفت في مدرستى على أصحاب كالعسل ، وكلامهم كالعسل ، ومعاملتهم كالعسل ، بل وأحلى صاحبتهم عدة مرات ورافقتهم بالخفية عن

---

(١) أنقل القصة بألفاظها دون أى تعديل كما وصلتنى .

أهلى عدة مرات ، ودراستى مستمرة ، وأحوالى مطمئنة وعلى أحسن حال وكنت أبذل الجهد لأربط بين أصحابى وبين دراستى واستطعت ذلك فى النصف الأول ، وبدأت الإجازة ويالها من إجازة ولا أعادها الله من إجازة ، وأيام لاحظ أبى أن خروجي من البيت قد كثر وعدم اهتمامى بالبيت قد زاد فلامنى ولامتنى أمى وأختى سارة كانت تدافع عنى لأنها كانت تحبنى كثيراً وتخاف على من ضرب أبى القاسى ، إذا ضرب وإذا غضب ، واستمرت أيام العطلة ولياليها التى لو كنت أعلم ما ستنتهى به لقتلت نفسى بل قطعت جسدى قطعة قطعة ولا استمريت فيها ، ولكن إرادة الله ، كنا أنا وأصحابى فى ملحق لمنزل أحد الشلة وقد دعانا لمشاهدة الفيديو وللعب سوياً فجلسنا من المغرب حتى الساعة الحادية عشر ليلاً وهو موعد عودتى للبيت فى تلك لأيام ، ولكن طالبنى صاحب البيت بالجلوس لنصف ساعة ، ومن ثم نذهب كلنا إلى بيوتنا ... أتدرون ما هو ثمن تلك النصف ساعة إنه كان عمرى لا إنه كان عمر .... وعمرى لا إنه كان عمر ... وعمرى وعمر أبى وعمر أمى وعائلتى كلها ... نعم كلهم كانت تلك النصف ساعة ثمناً لحياتنا وثمناً لنقلنا من السعادة إلى الشقاء الأبدى بل تلك النصف ساعة مهدت لنقلي إلى نار تلظى لا يصلاها إلا الأشقى أتأسف لكم لأننى خرجت من القصة .

تبرع أحد الأصحاب بإعداد إبريق من الشاى لنا حتى نقطع به الوقت ، فأتى بالشاى وشربنا منه ، ونحن نتحادث ونتسلى ونتمازح بكل ما تعنيه البراءة والطهر وصفاء النوايا من كلمة ولكن بعدما شربنا بقليل أصبحنا نتمايل ونتضاحك ونتقيئ بكل شكل ولون ، كلنا نعم كلنا ... ولا أدرى بما حدث حتى أيقظنا أول من تيقظ منا ، فقام صاحب المنزل ولامنا وعاتبنا على ما فعلنا فقمنا ونحن لا ندرى ما حدث ولماذا حدث وكيف حدث . فعاتبنا من أعد لنا

الشاى فقال : إنها مزحة مازحنا بها فنظفنا أجسامنا ونظفنا المكان ، وخرجنا إلى منازلنا فدخلت بيتنا مع زقزقة العصافير ، والناس نيام إلا أختى سارة التى أخذتنى لغرفتها ونصحتنى وهددتنى بأنها ستكون آخر مرة أتأخر فيها عن المنزل ، فوعدتها بذلك ولم تعلم المسكينة أن المهددة هى حياتها قبل حياتى ، ليتها ما سامحتنى ليتها ضربتنى بل وقتلتنى وما سامحتنى ... يارب ليتها ما سامحتنى سامحها الله ، ليتها ما سامحتنى .....

فاجتمعنا بعد أيام عند أحد الأصحاب وبدأنا نطلب إعادة تلك المزحة لأننا أحببناها وعشقناها ، فقال لنا صاحبنا : إنها تباع بسعر لا يقدر عليه الرجل وحده فعملنا شراكة فاشترينا بعددها كبسولات صاحبنا ، أظنكم عرفتم ماهى إنها المخدرات ، إنها مزحة بحبة مخدرات ونحن لا ندرى ، دفعنا بعضنا إلى التهلكة بمزحة وضحكة وحبة من المخدرات فاتفقنا على عمل دورية كل أسبوعين على واحد منا والحبوب نشتريها بالشراكة ، فمرت الأيام وتدهورت فى المدرسة وأصبحت لا أطيق البعد عنها ولا عن أصحابى ، فجاءت نتائج نهاية العام مخيبة لكل أهلى ، ولكن خفف علينا أن سارة نجحت وتخرجت بتقدير عالى مبروك يا سارة قلتها بكل إخلاص ، على الرغم مما قد كان أصابنى قلتها وأنا لأول مرة وكانت لآخر مرة أحس فيها بفرح من أعماقى ماذا تريدين أن أشترى لك يا سارة بمناسبة نجاحك أتدرون ما قالت ؟ ، كأنها حضرتنا أنا وأصحابى كأنها عرفت حالنا قالت : أريدك أن تنتبه لنفسك يا أخى أنت عزي بعد الله ...

لقد قالتها فى ذلك اليوم مجرد كلمات لا تعلم هى أنها ستكون فى بقية حياتى أشد من الطعنات ، ليتها ما قالتها وليتنى ما سألتها أى سند وعزة ياسارة ترجين ، أى سند وأى عزة يا سارة تريدين ، حسبى الله ونعم الوكيل ..

دخلت سارة معهد للمعلمات وجدت واجتهت ، وأنا من رسوب إلى رسول ومن ظلال وظلام إلى ظلال وظلام ومن سيء إلى أسوأ ولكن أهلى لا يعلمون ونحن فى زيادة فى الغي حتى أننا لا نستطيع أن نستغنى عن الحبة فوق يومين ، فقال لنا الصديق ، بل العدو رجيم بل الشيطان رجيم : هناك ما هو أغلى وأحلى وأطول مدة وسعادة ، فبحثنا عنه ووجدناه فدفعنا فيه المال الكثير ، وكل ذاك من جيوب آباءنا الذين لا نعلم هل هم مشاركون فى ضياعنا ؟ أم لا ، وهل عليهم وزر وذنب ؟ أم لا ؟ .

وذات مرة وأنا عائد للبيت أحست سارة بوضعى وشكت فى أمرى وتركتنى أنام وجاء الصباح فجاءتنى فى غرفتى ونصحتنى وهددتنى بكشف أمرى إن لم أخبرها بالحقيقة ، فدخلت أمى علينا وقطعت النقاش بيننا وليتها ما دخلت بل ليتها ماتت قبل أن تدخل ، بل ليتها ما كانت على الوجود لأعترف لأختى لعلها أن تساعدنى فأرسلتنى أمى فى أغراض لها فذهبت وأصبحت أتهرب عن أختى خوفاً منها على ما كتمته لأكثر من سنة أن ينكشف ، وقابلت أحد أصدقائى فذهبنا سوياً إلى بيت صديق آخر ، فأخذنا نصيبنا من الإثم فأخبرتهم بما حدث فخفنا من الفضيحة وكلام الناس ففكرنا بل فكروا شياطيننا ، وقال أحدهم لي : لدي الحل ، ولكن أريد رجلاً ليس أى كلام أتدرون ما هو الحل أتدرون ؟!! والله لو أسأل الشيطان ما هو الحل لما طرأت على باله لحظةً ، أتدرون ما قال ؟ ، أتدرون كيف فكر ؟ لا أحد يتوقع ماذا قال ... أقال نقتلها ليته قالها ؟ ... بل قال أعظم ... أقال نقطع لسانها ونفقع عيونها ؟ لا بل قال أعظم أقال نحرقها ؟ ، لا بل قال أعظم ، أتدرون ماذا قال ؟ حسبى الله ونعم الوكيل ...

حسبى الله على أهل المخدرات جميعاً وعلى مهربيها وعلى مروجيها وعلى

شاربيها ... حسبى الله على صاحبى ذاك ، لقد قال فصل الله عظامه وأعمى بصره وأفقده عقله ولا وفقه الله فى الدنيا ولا فى الآخرة ، اللهم لا تقبل توبته ، إنه شيطان ، إنه السبب فى كل ما بى وأنت تعلم ، اللهم اقبضه قبل أن يتوب وعاقبه فى الدنيا قبل الآخرة ... أتدرون ماذا قال ؟ لقد قال المنكر والظلم والبغى والعدوان ، لقد قال أفضل طريقة نجعلها فى صفنا « جعله الله فى صف فرعون وهامان يوم القيامة » ، نجعل لها حبة وتكون تحت أيدينا ولا تستطيع أن تفضحنا أبداً ، فرفضت إنها سارة العفيفة الشريفة الحبيبة ، الحنونة إنها سارة أختى ، ولكن وسوسوا لى وقالوا : هى لن تخسر شيئاً أنت فقط تحضر لها فى بيتكم وهى معززة مكرمة وفقط حبوب وأنت تعرف أنها ما أثر ذاك التأثير ، وتحت تأثير المخدر وتحت ضغوط شياطينهم وشيطانى وافقت ورتبت معهم كل شىء ، ذهبت للبيت وقابلتنى وطالبتنى وقلت لها : اصنعى لى شاى ، وأنا أعترف لك بكل شىء ، فذهبت المسكينة من عندى وكلها أمل فى أن تحل مشكلتى وأنا فى رأسى ألف شيطان ، وهمى هدم حياتها كلها ، أتت بالشاى وقلت لها : صبى لى ولك فصبت ، ثم قلت لها : أحضرى لي كأس ماء ، فذهبت ومن ثم أن خرجت من الغرفة أقسم بالله من غير شعور نزلت منى دمعة ما أدرى دمعة ألـم على مستقبلها ، ما أدرى روحـى التى طلعت من عينى ، ما أدرى ضميرى ما أدرى دمعت فرح بأنى أوفيت لأصحابى الوعد وإنى حفظت السر للأبد ، وضعت فى كوبها حبة كاملة ، وجاءت وهى تبتسم وأنا أراها أمامى كالحمل الصغير الذى دخل فى غابة الذئاب بكل نية زينة وصافية رأت دموعى ، فصارت تمسحها وتقول : الرجال ما تبكى وتحاول تواسينى تحسبنى نادماً ما علمت أنى أبكى عليها ليس على نفسى أبكى على مستقبلها على ضحكتها على عيونها على قلبها الأبيض الطاهر والشيطان فى نفسى

يقـول : اصبـر مـا يضـرها غـداً تداوى أنت وهى ، وهى لازم تعـرف معـاناتك وتعيشـها ولا رايح تقـدر معاناتك ، إلا إذا جربتـها وبدا يزين لي السوء والفسق والفساد حسبى الله عليه ، فقلت: اجعلينا نشرب الشاى حتى أرتاح ثم نتكلم ، فشربت ويا ليتها ما شربت ، ياليتها ما صنعتَ الشاى ولكن ... فجلست أجرها فى الكلام حتى بدت تغيب عن الوعى فصرت أضحك مرة وأبكى مرة ، ما أدرى ماذا أصابنى أضحك وأبكى ودموعى على خدى ، وبدأ إبليس يوسوس لى أنى خلاص سأنكشف وأبى وأمى سيعلمون إذا رأوا أختى بهذه الحالة ففكرت فى الهروب ، المهم هربت لأصحابى وبشرتهم بالمصيبة التى فعلتها ، فبارك لى جميع الأصحاب أقصد الأعداء ، وقالوا : ما يفعلها إلا الرجال أنت الأمير ، وأنت الزعيم ، صـاحب الشلة والآمـر والناهى ونحن على قـولك ، فنمنا تلك الليلة ، وعند الظهر بدأت أرتجف أسأل نفسى ماذا فعلت وماذا اقترفت يداى ...

فصاروا أصحابى يسألوننى ويقولون : نحن أول الناس معك فى علاجـها وبسيطة ما دامت حبوباً فقط ، وبعد يومين بدأ أبى يسأل عنى بعدما انقطعت عنهم ، فأرسلت أصحابى ينظرون الوضع فى البيت كيف هو ، لأنى خائف من والدي وعلى أختى فطمئنونى أن كل شيء تمام ولا حصل شيء ، فذهبت للبيت وأنا مستعد للضرب والشتم والسب والملام الذى ما عاد يفيد ، فضربنى أبى وأمى تلوم ، وأخوتى يلومون ويهددون ، وبعد أيام أتت إليّ أختى وسألتنى عن شيء وضعته لها فى الشاى أعجبها وتريد منه ورفضت فصارت تتوسل لي وتقبِّل رجلاى ، مثل ما أنا أفعل مع أصحابى عندما أطلب منهم الحبوب ، فرحمتها وأعطيتها ، وتكرر هذا مرات كثيرة وبدأت أحوالها الدراسية تتدهور حتى تركت الدراسة بلا سبب واضح لأهلى فصبروا أنفسهم أن البنت ما لها إلا بيتها فى النهاية ، فتحولت الآمال إلى أخى الأصغر منى ومرة ويا أبغضها من

مرة انتهت البضاعة من عندى ، فطلبتها من أحد أصحابى فرفض إلا إذا ... تدرون ماذا كان شرطه ؟ حسبى الله ونعم الوكيل ، حسبى الله عليه وعلى إبليس ، حسبى الله عليه ، شرطه أختى سارة يريد أن يزنى بها ، فرفضت وتشاجرت معه ، وأصحابنا الحاضرون يحاولون الإصلاح ويقولون لي : ما فيه شيء ومرة واحدة ما تضر واسألها إذا هى موافقة ماذا يضرك وما أنت خسران شيء !! صاروا معه ضدى كلهم معه ، وقلت له : أنت أول واحد كان يقول لي أنا معك فى طلب دواءها وعلاجها واليوم تطلب كذا حسافة بالصداقة ، فقال بالفم المليان : أى صداقة وأى علاج يارجل ، أنس كل شيء فتخاصمنا وقاطعت الشلة وطالت الأيام ، وصبرت أنا ، وأختى بدأت تطلب وأنا ما عندى ومالى طريق إلا هم ، وأختى حالتها تسوء وكل ما لها ضاع وتطالبنى لو بكسرة حبة فوسوس لي الشيطان بأن أسألها إذا وافقت لا أحد يخسر شيء ، ولا أحد دارى ، أنت وهى وصاحبك فقط ، واطلب منه أن يواعدك ما يقول لشخص ثانى واجعله سراً ، فصارحتها وقلت لها : الذى عنده يريدك أول شيء ويريد أن يقابلكِ ويفعل فيك ثم يعطينا كل الذى نريد بدون مال ونرجع ولا عاد نحتاج لأحد مرة ، فقالت مباشرة بدون تردد : موافقة هيا بنا نذهب !! ..

فخططنا أنا وأختى أن نخرج ، فخرجنا وذهبت بأختى إلى صاحبى ، وجلسنا فى شقته ، وطلب منى أن أقضى مشواراً حتى ينتهى فذهبت وأتيت إليهم بعد ساعة وإذا بأختى شبه عارية فى شقة صاحبى وأنا مغلوب على أمرى ورايح فيها أريد لو رائحة هروين فجلسنا سوياً أنا وصاحبى وأختى من الظهر إلى بعد العشاء فى جلسة سمر وشرب وعهر ... يا ويلي من ربى ، ويلي من النار أنا من أهلها ، أنا من أهلها ، ليتنى أموت يارب موتنى ، يارب موتنى ، فرجعنا أنا وأختى للبيت ولا كأن شيئاً صار ، فصرت أقول لأختى : هذه أول وآخر مرة وأنا

لم أكن أعلم أن صاحبى النجس أعطى أختى مواعيد وأرقامه الخاصة إذا أرادت ما يحتاج وجودى ، وأنا ما علمت ، ومرت الأيام وأنا أرى أختى تخرج على غير عاداتها سابقاً ، هى وأختى الصغيرة مرة بأى عذر للسوق وللمستشفى حتى إنها طلبت تسجل مرة ثانية بالمعهد فحاول المسكين أبى بكل ما يملك وبكل من يعرف لكى يرجعها من جديد وفرحت العائلة من جديد بعودتها للدراسة ، واهتمامها بها ومرة وأنا عند أحد أصحابى قال : سوف نذهب لنزور أحد أصحابنا ، وذهبنا إليه ويا للمصيبة وجدت أختى عنده وبين أحضانه وانفجرت من الغضب فقامت أختى وقالت : مالك شغل حياتى وأنا حرة ، فأخذنى صاحبى معه ، وأعطانى السم القاتل الذى ينسى الإنسان أعز وكل ما يملك ويجعله فى نظره أبخس الأشياء وأرذلها ، فرجعنا لصاحبنا وأنا ذاهب فيها ، ولعبوا مع أختى وأنا بينهم كالبهيمة ، بل وأسوأ ، ومع العصر رجعنا للبيت وأنا لا أدرى ما أفعل ، فالعار قد ذهب ، والمال قد ذهب ، والشرف قد ذهب ، والمستقبل قد ذهب ، والعقل قد ذهب كل شىء بالتأكيد قد ذهب ومرت الأيام وأنا أبكى إذا صحوت من السكر وأضحك إذا سكرت حياة بهيمة بل أردى حياة رخيصة سافلة بخسة ، ومرة من المرات المشؤومة وكل حياتى مشؤومة ، وفى أحد الأيام وفى الصباح عند التاسعة إذا بالشرطة تتصل على أبى فى العمل ويقولون : احضر فوراً ، فحضر فكانت الطامة التى لم يتحملها أبى ومات بعدها بأيام وأمى فقدت نطقها منها ، أتدرون ما هى؟ أتدرون ؟ لقد كانت أختى برفقة شاب فى منطقة استراحات خارج المدينة وهم فى حالة سكر وحصل لهم حادث وتوفى الاثنان فوراً ...

يا لها من مصيبة تنطق الحجر ، وتبكى الصخر يالها من نهاية يا سارة لم تكتبيها ، ولم تختاريها ولم تتمنيها أبداً ، سارة الطاهرة أصبحت عاهرة ، سارة

الشريفة أصبحت زانية مومساً ، سارة الطيبة المؤمنة أصبحت داعرة !! يا الله ماذا فعلت أنا بأختى إلى هذا الدرب أوصلتها إلى نار جهنم ، دفعتها بيدى إلى اللعنة ، أوصلتها أنا إلى السمعة السيئة ، يارب ماذا أفعل ، اللهم إنى أدعوك أن تأخذنى وتعاقبنى بدلاً عنها ، يارب إنك تعلم إنها مظلومة وأنا الذى ظلمتها ، وأنا الذى أبعدتها عن الطريق المستقيم وهى لم تكن تعلم ، كانت تريد صلاحى فأفسدتها ، لعن الله المخدرات وطريقها وأهلها ، أبى مات بعد أيام ، وأمى لم تنطق بعد ذلك اليوم ، وأنا لا زلت فى الطريق الأسود ، وإخوانى على شفا حفرة من الضياع والهلاك ، وبعدها بفترة فكرت أن أتوب ولم أستطع الصبر ، فاستأذنت من أمى أن أسافر إلى الخارج بحجة النزهة لمدة قد تطول إلى أشهر بحجة أنى أريد النسيان ، فذهبت إلى مستشفى الأمل بعد أن هدمت حياتى وحياة أسرتى وحياة أختى سارة ، رحمك الله يا سارة ، اللهم اغفر لها فإنها لا تعلم ، اللهم ارحمها فإنها مسكينة وخذنى بدلاً عنها يارب .

فعزمت على العلاج ولما سألونى عن التعاطى زعمت أنه من الخارج وأن تعاطى المخدرات كان فى أسفارى ، وبعد عدة أشهر عالجت نفسى ، مما كان أصابنى من المخدرات ولكن بعد ماذا بعد ما قطعت كل حبل يضمن لنا حياة هانئة سعيدة ، عدت وإذا بأهلى يعيشون على ما يقدمه الناس لهم ، لقد باعت أمى منزلنا واستأجرت آخر ، من بعد الفيلا الدبلوكس إلى شقة فيها ثلاث غرف ونحن ثمانية أفراد ، ومن بعد العز والنعيم ورغد العيش إلى الحصير ومسألة الناس ، لا علم لدى ولا عمل ، وإخوانى أصغر منى ونصفهم ترك الدراسة لعدم كفاية المصاريف ، فأهلى متى ما ذكر اسم أختى سارة لعنوها وسبوها وجرحوها لأنها السبب فى كل ما حصل ، ودعوا عليها بالنار والثبور وقلبى يتقطع عليها لأنها مظلومة وعلى أهلى لأنهم لا يعلمون وأنا لا أستطيع أن أبلغ

عن أصحاب الشر والسوء الذين هدموا حياتي وحياة أختي لأني إذا بلغت سأزيد جروح أهلي التي لم تندمل بعد على أختي وأبي وأمي وسمعتنا وعزنا وشرفنا لأنهم سيعلمون أني أنا السبب وستزيد جراحهم ، وسيورطني أصحاب السوء إن بلغت عنهم معهم ، فأنا في حيرة من أمري ، إني أبكي في كل وقت ولا أحد يحس بي ، وأنا أرى أن من المفروض أن أُرجم بالحجار ولا يكفي ذلك ، ولا يكفر ما فعلت وما سببت ، انظروا يا أخواني ماذا فعلت أنا ، إنها المخدرات ونزوات الشيطان ، إنها المخدرات ، إنها أم الخبائث ، إنها الشر المستطير ، كم أفسدت من بيوت ، وكم شردت من بشر ، وكم فرقت من أسر ، لا تضحكوا يا إخواني ولا تعجبوا وقولوا : اللهم لا شماته ، يا إخواني اعتبروا وانشروا قصتي على من تعرفون لعل الله أن يهدي بقصتي ولو شخصاً واحداً أكفر به عن خطئي العظيم ، الذي أعتقد أنه لن يغفر ، أرجو منكم أن تدعوا لأختي سارة في ليلكم ونهاركم ، ولا تدعوا لي لعل الله أن يرحمها بدعواتكم ، لأنه لن يقبل مني وأنا من فعل بها كل ما حدث لها .

اللهم ارحم سارة ، اللهم ارحمها واغفر لها ، والله إني محتاج لوقوفكم معي في شدتي ولكن لا أريد منكم شيئاً ، وأشكر أخي الذي كتب معاناتي التي بين أيديكم ، وأحسبه الصادق والله حسبه ، وأشكر من نشرها وعممها ، وهذا مختصر المختصر من قصتي التي لو شرحتها بالتفصيل لزاغت أنفسكم اشمئزازاً وغمضتم عيونكم خجلاً، ولعل فيما قلت الكفاية والفائدة والله لولا الحياء وسكب ماء الوجه لأعطيتكم طريقة اتصال بي لتعرفوا أن في الدنيا مصائب لا تطرأ على بال بشر ولا يتخيلها إنسان، فقولوا: يا الله الستر والعافية الذي ضيعته أنا ، والعافية التي ضيعتها أنا ، لو تعرفون عظمها ما تركتم الدعاء والشكر والحمد لله عليها لحظة ولكن خلق الإنسان عجولاً وجزاكم الله خيراً .

وأخيراً :

وبعد هذا الكلام المحزن والمؤسف هل من معتبر ومتعظ بهذه القصة ؟ نسأل الله تعالى أن يهدى ضال المسلمين وأن يرده على الخير رداً جميلاً كما نسأله تعالى لمن نشر هذه القصة والحادثة أن يجعله فى موازين حسناته إنه جواد كريم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين (١)



---

(١) وفى الحديث القدسى : « يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك » رواه الترمذى عن أنس حسن صحيح وصححه الألبانى فمن تاب تاب الله عليه .

اللحظات العصيبة (١)

كنت أقوم بالمرور اليومى على المرضى فى غرفة العناية المركزة فى ذلك المستشفى الكندى الذى كنت أتابع فيه الدراسة الطبية العليا ، لفت انتباهى اسم المريض فى السرير رقم [٣] ، إنه محمد ... نظرت إليه ملياً أتفحص ملامحه وأتفرس قسمات وجهه الذى كاد يتوارى تحت أنقاض الأنابيب وأجهزة الإنعاش ، إنه شاب فى الخامسة والعشرين من العمر ، مصاب بمرض نقص المناعة المكتسبة « الإيدز » أُدخِل المستشفى قبل يومين بالتهاب حاد فى الرئة وحالته خطرة جداً وشبه ميؤوس منها ، لم يكن هذا أول مريض مسلم فى بلاد الغرب أعالجه ، ولكنى أحس نحوه بشعور خاص لا أعرف سببه .

بعد انتهاء المرور الصباحى اختلست لحظات واقتربت من هذا الشاب ، حاولت أن أكلمه برفق ، إنه يسمعنى ، ولكنه لا يستطيع أن يجيب إلا بكلمات غير مفهومة ، اتصلت ببيته ، ردت عليّ أمه ، يبدو أنهم من أصول عربية لبنانية ، أبوه تاجر كبير فى المدينة يمتلك محلات حلويات ، شرحت للأم حالة ابنها وأثناء حديثى معها بدأت أجراس الإنذار تتعالى بشكل مخيف من الأجهزة الموصلة بذلك الفتى مؤشرة على هبوط حاد فى الدورة الدموية ، ارتبكت فى حديثى مع الأم ، قلت لها : لابد أن تحضرى الآن ، قالت : أنا مشغولة فى عملى وسوف أحضر بعد انتهاء الدوام ، قلت لها : ربما يكون

---

(١) الأسرة ، العدد ٨١ ، ذو الحجة ١٤٢٠هـ . د / أيمن عبده .

الوقت متأخراً عندها ، وأغلقت السماعة .

بعد نصف ساعة طلبت منى الممرضة أن أحضر للقاء والدة المريض ، امرأة في متوسط العمر ، لا تبدو عليها مظاهر الإسلام ، بدت مضطربة ، شرحت لها الوضع الحرج لابنها ، إنهارت باكية ، حاولت تهدئتها ، قلت لها : اسألى الله له الشفاء ، نظرت إليّ بدهشة ، ماذا قلت ؟ ، قلت : تعلقى بالله واسألى له الشفاء ، قالت : أنت مسلم ؟ قلت : الحمد لله ، قالت : نحن مسلمون كذلك . قلت : ما شاء الله ، لماذا لا تذهبين عند رأسه وتقرئين عليه شيئاً من القرآن ، لعل الله أن يخفف عنه ، انتفضت بارتباك وقد انخرطت فى بكاء مرير ، قالت : لا أعرف ، قلت : كيف تصلين ؟ قالت : نحن لا نصلى إلا فى العيد ، منذ أن أتينا إلى هذا البلد ، ولكنى أذهب لزيارة أضرحة أجدادى فى لبنان كل عامين ، وأدعوا لهم دون علم زوجى ، أنا امرأة متدينة ، سألتها عن حال ابنها ، قالت : كان طيب القلب يحب الحياة ، ولكنه انحرف قليلاً فى السنة الماضية مع تلك الفتاة التى استولت عليه ، وكان حاله على أحسن ما يرام !! ، قلت : هل كان يصلى ؟ قالت : لا ، ولكنه كان ينوى أن يحج فى آخر عمره .

اقتربت من الفتى المسكين وهو يعالج سكرات الموت، أجهزة المنبه تتعالى ، الأم تبكى بصوت مسموع ، الممرضات ينظرن بدهشة ، جاهداً حاولت أن ألقن الفتى الشهادتين ، الفتى لا يستجيب ، عاودت المحاولة مرات عديدة ، بدأ الفتى يفيق شيئاً ما ، قل لا إله إلا الله ، الفتى يحاول بكل جوارحه ، الدموع تفتر من أطراف عينيه ، وجه يتغير لونه إلى السواد ، قل لا إله إلا الله ، لقد بدأ يتكلم بصوت خافت مرتجف آه ، آه ، ألم شديد ، أريد مسكناً للألم ، قل : لا إله إلا الله الفتى يحاول شفتاه ترتجفان ، يا إلهى سينطقها الآن { **I cant I cant** }

أريد صديقتى ، لا أستطيع ، النبض يتناقص والتنفس يتلاشى ، لم أتمالك نفسى أخذت أبكى بحرقة ، وأعاود المحاولة : أرجوك قلها ، لا أستطيع توقف النبض وأنا ممسك بيد الفتى فى ذهول تام ، والأم مرتمية على صدره تصرخ ، ووجه الفتى غطاه سواد كالح ، لم أتمالك نفسى ، نسيت كل الأعراف الطبية وذهلت من حساسية الموقف ، انفجرت صارخاً فى الأم : أنت المسؤولة ، أنت وأبوه ، ضيعتم الأمانة ، ضيعكم الله ، الأم تبكى فى ذهول .

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١) ﴾ [العنكبوت : ٢١] .

قال ابن القيم - رحمه الله - : « فإذا كان العبد فى حال حضور ذهنه وقوته وكمال إدراكه قد تمكن منه الشيطان واستعمله فيما يريده من معاصى الله ، فكيف الظن به عند سقوط قواه واشتغال قلبه ونفسه بما هو فيه من ألم النزاع ؟ ، وجمع الشيطان عليه كل قوته وهمته ، لينال منه فرصته ، فأقوى ما يكون عليه شيطانه ذلك الوقت وأضعف ما يكون هو فى تلك الحال ، فمن ترى يسلم من ذلك ؟ ، فهناك ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧) ﴾ [إبراهيم : ٢٧] .



الجزاء من جنس العمل [1]

كان يعيش مع زوجته عيشة شجار دائم وكان يعامل زوجته بقسوة ، فقد كان قاسى القلب حاد الطبع ، وكانت زوجته تعانى من شدته ومعاملته القاسية له وفى يوم من الأيام وكالعادة نشب شجار بين الزوجين ، فعمد الزوج القاسى إلى عصا غليظة فضرب بها زوجته ومن شدة الضرب ماتت الزوجة من دون أن يقصد الزوج قتلها بل كان غرضه تأديبها ، فلما رآها ماتت خاف واحتار ، ماذا يصنع وأخذ يفكر فى كيفية الخلاص من هذه الورطة ، ولم يجد حيلة للخلاص ، فخرج من منزله متوجهاً إلى أحد أقاربه وقص عليه القصة عله يجد عنده حلاً لهذه الورطة .

فقال له قريبه : اسمع يجب أن تبحث عن شاب جميل الصورة وتدعوه إلى منزلك للضيافة ، ثم اقتله واقطع رأسه وضع جسده بجانب جثة زوجتك وقل لأهلها إنك وجدت هذا الشاب مع زوجتك فلم تتحمل فعلهما السىء فقتلتهما معاً وتكون بذلك قد خلصت نفسك من هذه الورطة وظهرت لهم بصورة الرجل الشريف .

وحين سمع الزوج كلام قريبه أحس براحة وأسرع إلى منزله لينفذ الحيلة وجلس على باب منزله علّه يعثر على مبتغاه ، وبعد مدة أقبل شاب جميل الصورة وسيم ، تبدو عليه ظواهر النعمة ، فقفز الزوج قائماً مستقبلاً الشاب

---

(١) قصص واقعية من واقع الحياة ، سيد عبد الله الرفاعى جـ٤ .

مرحباً به ، والشاب مستغرب لما يحدث ، ولكن الزوج أصر على الشاب بأن يدخل معه المنزل كي يضيفه وجره إلى داخل المنزل وأغلق الباب والشاب المسكين فى ذهول ودهشه ، أسرع الزوج وفعل فعلته الشنعاء وقتل الشاب المذهول ثم قطع رأسه وألصق جسده بجسد زوجته ولما جاء أهل الزوجة وشاهدوا الجنازتين وقص عليهم الزوج القصة المختلقة فذهبوا وهم يلعنون ويشتمون ابنتهم على فعلتها القبيحة ، وهدأت نفس الزوج وأحسن أنه قد أنقذ نفسه من موت محقق وأخذ يدعو لقرينه الذى دله على هذه الحيلة الماكرة .

وبينما الزوج جالس فى منزله فرحان مسروراً إلى ما آلت له الأمور سمع طرقات على الباب ، ولما فتح الباب فإذا بقرينه فاحتضنه الزوج وأخذ يقبله ويشكره وأدخله المنزل كي يقوم بالواجب نحوه ، فقال له قرينه : هل نجحت الخطة ؟ فقال له الزوج : لقد نجحت نجاحاً باهراً وانطلت الحيلة عليهم ، وكل هذا من حُسن تفكيرك وسلامة تدبيرك .

فقال له قرينه : وهل وجدت بغيتك ؟ .

قال الزوج : أجل ... لقد وجدت الشاب الجميل بهي الصورة .

فقال له قرينه : أرنى ذلك الشاب الجميل الذى قتلته ... فلما رآه شهق شهقة وسقط مغمى عليه ، لقد كان هذا الشاب الجميل القتيل ولده ... والجزاء من جنس العمل [(١)] .

لقد دبر هذا المحتال حيلة لقرينه كي ينقذه من ورطته بدل أن ينصحه بتسليم نفسه للعدالة أو يبلغ عنه ، ولكنه أعانه على جريمته بجريمة أعظم منها وكان الضحية ولده ، فلذة كبده فوقع فى شر أعماله ... وكما تدين تدان .

---

(١) جريدة الرأى العام بتصرف .

قصة شريط الفيديو المدمر[1]

فتاة فى المرحلة الجامعية - كلية الآداب - قسم علم نفس ولها أخوات ثلاث ، منهن من تدرس فى المرحلة الثانوية والأخريان فى المرحلة المتوسطة ، وكان الأب يعمل فى محل بقالة ويجتهد لكى يوفر لهن لقمة العيش وكانت هذه الفتاة مجتهدة فى دراستها الجامعية ، معروفة بحسن الخلق والأدب الجم كل زميلاتها يحببنها ويرغبن فى التقرب منها لتفوقها المميز .

قالت : فى يوم من الأيام خرجت من بوابة الجامعة ، وإذ أنا بشاب أمامى فى هيئة مهندمة ، وكان ينظر إليّ وكأنه يعرفنى ، فلم أعطه أى اهتمام ، سار خلفى وهو يحدثنى بصوت خفيض وكلمات صبيانية مثل : يا جميلة ... أنا أرغب فى الزواج منك ... فأنا أراقبك منذ مدة وعرفت أخلاقك وأدبك ، سرت مسرعة تتعثر قدماى ... ويتصبب جبينى عرقاً ، فأنا لم أتعرض لهذا الموقف أبداً من قبل ، ووصلت إلى منزلى منهكةً مرتبكةً أفكر فى هذا الموضوع ولم أنم هذه الليلة من الخوف والفزع والقلق .

وفى اليوم التالى وعند خروجى من الجامعة وجدته منتظراً أمام الباب وهو يبتسم ، وتكررت معاكساته لى والسير خلفى كل يوم ، وانتهى هذا الأمر برسالة صغيرة ألقاها لى عند باب البيت وترددت فى التقاطها ولكن أخذتها ويداى ترتعشان وفتحتها وقرأتها وإذا بها كلمات مملوءة بالحب والهيام والاعتذار عما

---

(١) شريط الفيديو الذى دمر حياتى ، لأحمد الحصين .

بدر منه من مضايقات لى .

مزقت الورقة ورميتها ، وبعد سويعات دق جرس التليفون فرفعته وإذا بالشاب نفسه يطاردنى بكلام جميل ويقول لى قرأت الرسالة أم لا ؟ .

قلت له : إن لم تتأدب أخبرت عائلتى والويل لك ، وبعد ساعة اتصل مرة أخرى وأخذ يتودد إليّ بأن غايته شريفة وأنه يريد أن يستقر ويتزوج وأنه ثرى وسيبنى لى قصراً ويحقق لى كل آمالى وأنه وحيد لم يبق من عائلته أحد على قيد الحياة ... و ... و ... .

فرق قلبى به وبدأت أكلمه وأسترسل معه فى الكلام ، وبدأت أنتظر التليفون فى كل وقت ، وأبحث عنه بعد خروجى من الكلية لعلي أراه ولكن دون جدوى ، وخرجت ذات يومٍ من كليتى وإذا به أمامى ، فطرت فرحاً ، وبدأت أخرج معه فى سيارته نتجول ... وجلست أنظر إليه وينظر إليّ ثم غشتنا غاشية من عذاب جهنّم ... ولم أدر إلا وأنا فريسة لهذا الشاب ، وفقدت أعز ما أملك ... قمت كالمجنونة ، ماذا فعلت بى ؟ .

- لا تخافى أنتِ زوجتى ...
- كيف أكون زوجتك وأنت لم تعقد عليّ .
- سوف أعقد عليك قريباً .

وذهبت إلى بيتى مترنحة ، لا تقوى ساقاى على حملى واشتعلت النيران فى جسدى ... يا إلهى ماذا فعلت أجننت أنا ... ماذا دهانى ، وأظلمت الدنيا فى عينى وأخذت أبكى بكاءً شديداً مراً وتركت الدراسة وساء حالى إلى أقصى درجة ، ولم يفلح أحد من أهلى أن يعرف كنه ما فيّ ، ولكن تعلقت بأمل راودنى وهو وعده لى بالزواج ، ومرّت الأيام تجر بعضها البعض وكانت عليّ

أثقل من الجبال ، ماذا حدث بعد ذلك ؟ ، كانت المفاجأة التى دمرت حياتى ... دق جرس الهاتف وإذا بصوته يأتي من بعيد ويقول لى : أريد أن أقابلك لشيء مهم ... فرحت وهللت وظننت أن الشيء المهم هو ترتيب أمر الزواج ... قابلته وكان متجهماً تبدو على وجهه علامات القسوة وإذا به يبادرنى قائلاً قبل كل شيء لا تفكرى فى أمر الزواج أبداً ... نريد أن نعيش سوياً بلا قيد ... ارتفعت يدى دون أن أشعر وصفعته على وجهه حتى كاد الشر يطير من عينيه وقلت له كنت أظن أنك ستصلح غلطتك ، ولكن وجدت رجلاً بلا قيم ولا أخلاق ونزلت من السيارة مسرعة وأنا أبكى ، فقال لى هنيهة من فضلك ووجدت فى يده شريط ڤيديو ... يرفعه بأطراف أصابعه مستهتراً وقال بنبرة حادة : سأحطمك بهذا الشريط قلت له : وما بداخل الشريط ؟ .

قال : هلم معي لتري ما بداخله ستكون مفاجأة لك ، وذهبت معه لأرى ما بداخل الشريط ورأيت تصويراً كاملاً لما تم بيننا فى الحرام .

قلت : ماذا فعلت يا جبان ... يا خسيس ... ، قال : كاميرات « خفية » كانت مسلطة علينا تسجل كل حركة وهمسة ، وهذا الشريط سيكون سلاحاً في يدي لتدميرك إلا إذا كنت تحت أوامري ورهن إشاراتي وأخذت أصيح وأبكى لأن القضية ليست قضيتي بل قضية عائلة بأكملها ؛ ولكن قال أبداً ... والنتيجة أنى أصبحت أسيرة بيده ينقلنى من رجل إلى رجل ويقبض الثمن ... وسقطت فى الوحل – وانتقلت حياتى إلى الدعارة – وأسرتى لا تعلم شيئاً عن فعلتى فهى تثق بى تماماً .

وانتشر الشريط ... ووقع بيد ابن عمى فانفجرت القضية وعلم والدي وجميع أسرتى وانتشرت الفضيحة فى أنحاء بلدتنا ، ولطخ بيتنا بالعار ، فهربت لأحمى نفسى واختفيت عن الأنظار وعلمت أن والدي وشقيقتى هاجروا إلى

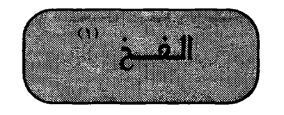
بلاد أخرى وهاجرت معهم الفضيحة تتعقبهم وأصبحت المجالس يتحدث فيها عن هذا الموضوع ، وانتقل الشريط من شاب لآخر .

وعشت بين المومسات منغمسة فى الرذيلة. وكان هذا النذل هو الموجه الأول لى يحركنى كالدمية فى يده ولا أستطيع حراكاً ؛ وكان هذا الشاب السبب فى تدمير العديد من البيوت وضياع مستقبل فتيات فى عمر الزهور .

وعزمت على الانتقام ... وفى يوم من الأيام دخل عليّ وهو فى حالة سكر شديد فاغتنمت الفرصة وطعنته بمدية ، فقتلت إبليس المتمثل فى صورة آدمية خلصت الناس من شروره ، وكان مصيرى أن أصبحت وراء القضبان أتجرع مرارة الذل والحرمان وأندم على فعلتى الشنيعة وعلى حياتى التى فرطت فيها .

وكلما تذكرت شريط الڤيديو خُيل إليّ أن الكاميرات تطاردنى فى كل مكان ، فكتبت قصتى هذه لتكون عبرة وعظة لكل فتاة تنساق خلف كلمات براقة .





الفخ (1)

كان لاهم له إلا خداع الفتيات والتغرير بهن فكان يخدعهن بكلامه المعسول ووعوده الكاذبة ، فإذا نال مراده أخذ يبحث عن فتاة أخرى ، وهكذا كان ديدنه لا يردعه دين ولا حياء فكان مثل الوحش الضاري يهيم فى الصحراء بحثاً عن فريسة يسكت بها جوعه .

وفى إحدى جولاته سقطت في شباكه إحدى المخدوعات بأمثاله ، فألقى إليها برقم هاتفه فاتصلت به وأخذ يسمعها من كلامه المعسول ما جعلها تسبح فى عالم الحب والود والعاطفة ، واستطاع بمكره أن يشغل قلبها فصارت مولعة به فأراد الخبيث بعد أن شعر أنها استوت وحان قطافها أراد أن يبتلعها مثل ما فعل مع غيرها إلا أنها صدته وقالت : الذى بينك وبينى حب طاهر عفيف لا يتوج إلا بالزواج الشرعي ، وحاول يراوغها ويخدعها إلا أنها صدته وأحس أنه فشل هذه المرة فأراد أن ينتقم لكبريائه ويلقنها درساً لا تنساه أبداً ، فاتصل بها وأخذ يبث لها أشواقه ويعبر لها عن حبه وهيامه وأنه قرر وعزم على خطبتها لأنه لا يستطيع أن يفارقها فهى بالنسبة له كالهواء إذا انقطع عنه مات !! ، ولأنها ساذجة مخدوعة بحبه صدقته وأخذت تبادله الأشواق وصار هذا الفاسق يداوم على الاتصال بها حتى ألهبها شوقاً فواعدها أنه سوف يتقدم لخطبتها إلا أن هناك أموراً يجب أن يحدثها بها لأنها أمور لا تقال عبر الهاتف ، وبعد رفض

---

(1) كما تدين تُدان . السيد الرفاعى .

منها وتمانع استطاع الخبيث أن يقنعها كي يلتقيا ، فقبلت ، فاستبشر الفاسق وحدد لها المكان والزمان ، أما المكان فهو شاليه يقع على ساحل البحر ، وأما الزمان ففى الصباح ، واتفقا على الموعد .

فرح الخبيث الماكر وأسرع إلى أصدقاء السوء أمثاله ، وقال لهم غداً ستأتى فتاة إلى الشاليه تسأل عني وأريد منكم أن تكونوا متواجدين هناك ، فإذا جاءت فافعلوا بها ما يحلو لكم ، وفى الغد جلسوا داخل الشاليه ينتظرون الفريسة وهم يلهثون مثل الكلاب المسعورة فأقبلت الفريسة تبحث عن صيادها ودخلت الفتاة إلى الشاليه تنادى عليه وفجأة هجموا عليها هجوم الوحوش الضارية وأخذوا يتناوبون عليها حتى أشبعوا رغبتهم وأطفؤوا نار شهوتهم المحمومة ثم تركوها فى حالة يرثى لها وخرجوا قاصدين سيارتهم وإذا بالماكر الخبيث مقبل نحوهم فلما رأوه تبسموا وقالوا : لقد انتهت المهمة كما أردت .

فـفـرح واصطحبـهم إلى داخـل الشـاليـه ليـمتع ناظريـه بمنظر هـذه المسكينة ويشفي غليله فهى التى صدته واستعصت عليه ، فلما وقعت عينه عليها كادت روحه تزهق وأخذ يصرخ بأعلى صوته على أصدقائه .. يا أشقياء ماذا فعلتم .. تباً لكم من سفلة.. إنها ... إنها أختي .. أختي الويل ليّ ولكم .. إنها أختي .. أختي .. يا ويلي .. .

ولكن ما الذى حدث ، لقد شاء الله عز وجل أن ينتقم من هذا الفاسق بأقرب الناس إليه وبنفس الطريقة التى خطط لها ، إن الفتاة التى واعدها هذا الخبيث حدث لها مانع جعلها تمتنع عن الحضور فلم تحضر ، وكانت أخت هذا الفاسق تبحث عن أخيها لأمر ما ، وهي تعلم أنه يقضي أغلب وقته فى الشاليه فذهبت إليه فى نفس الموعد الذى حدد مع الفتاة ، وهكذا وقع هذا

الفاسق في الحفرة التي حفرها للفتاة واصطاده نفس الفخ الذي نصبه لها ، ولابد لكل مجرم من نهاية مهما طال الزمن ، فلابد أن يقع وأن يشرب من نفس الكأس وكما تدين تدان .

قال الله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩) ﴾ [الأعراف : ٩٩] .

قال رسول الله ﷺ : « المكر والخديعة والخيانة في النار » [١] .



---

(١) صحيح : رواه أبو داود ، السلسلة الصحيحة (١٠٥٧) .

خطوات الشيطان (١)

تخرج أنور من الجامعة مهندساً ، وافتتح له أبوه مكتباً فخماً وأهداه سيارة ووعده بأن يهديه « ڤيلا » فخمة عند زواجه ، وكان والد أنور يعمل مقاولاً ، وقد رست مناقصة بناء عمارة حكومية عليه وكانت المهندسة « س – و » وهى المشرفة الهندسية على مشروع بناء العمارة الحكومية وكانت جميلة حسناء ، فأُعجب بها المقاول والد أنور ، ومع مرور الأيام نشأت بينه وبينها علاقة غرامية اختلطت فيها المصالح الشخصية مع العواطف والشهوات الحيوانية ، ورغم فارق السن بينهما تطورت العلاقات بين المقاول والمهندسة ، وكان والد أنور يغدق على المهندسة بالهدايا ، وبارك الشيطان هذه العلاقة فسقطا بالفاحشة ، وهتكا المحرمات وانغمسا فى الحرام دون خوف أو حياء وكان الشيطان يرعى هذه العلاقة وينميها ويطورها ، وتعددت اللقاءات بين المهندسة « س – و » والمقاول والد أنور فحملت منه سفاحاً ، فأخبرت المهندسة عشيقها المقاول أنها حامل فى شهرها الثانى وأنها لا تمانع فى الزواج منه ، لكن المقاول مع كبر سنه إلا أنه سقط فى الوحل واستلذ الحرام ، فاقترح عليها اقتراحاً شيطانياً خبيثاً ، وذلك أن يجهض عشيقته المهندسة ويزوجها لابنه المهندس « أنور » ، والمهندسة « س – و » هى من نفس حزب المقاول حزب الشيطان الذين لا يتوانون عن فعل أى شىء فى سبيل شهواتهم ومتطلباتهم فوافقت المهندسة على الاقتراح الشيطانى وأجهضت الجنين ، وأخذ المقاول يحاول بكل وسيلة إقناع

(١) كما تدين تُدان ، سيد الرفاعى .

ابنه بالزواج من المهندسة ، ولكن الابن رفض الزواج منها لأنه كان يعرف سلوكها عندما كانوا زملاء فى الجامعة وعلاقتها المشبوهة مع زملائه أثناء الدراسة ، لكن والده المقاول غضب وهدده أن يحرمه من كل الامتيازات التى وفرها له « الڤيلا والسيارة والمكتب » ويحرمه من أى مشروع وذلك من خلال علاقاته بالمسؤولين .

ورضخ « أنور » لرغبة والده وعقد القران بين المهندسة « س – و » وأنور بمباركة من الوالد العاشق ، ومرت الأيام وعادت العلاقة بين المهندسة ووالد زوجها ، وحملت « س – و » وهى غير متأكدة هل حملها من زوجها المهندس أنور أم والده !!! وولدت طفلين توأمين .

وحتى يخلو الجو للوالد الماجن كان يرسل ابنه المهندس فى مهمات عملية للإشراف على تعهدات ومقاولات تابعة له فى مناطق نائية بعيدة حتى يغرق الوالد فى بؤرة الفساد مع زوجة ابنه .

وحملت المهندسة « س – و » مرة ثانية ولكنها هذه المرة كانت متأكدة أن حملها كان أثناء غياب زوجها فهى حامل من والده المقاول .

ولدت المهندسة أيضاً توأمين طفلاً وطفلة !! .

استمرت « س – و » مع المقاول والد زوجها بعلاقتها الحرام وكان المقاول الأب يغرقها هي وأولادها بالأموال ويرعاهم .

وذات يوم كان الابن المخدوع فى مهمة عمل إلا أنه عاد قبل موعده ورأى سيارة والده فى الكراج فصعد الدرج إلى الطابق العلوي حيث غرف النوم فرأى والده مع زوجته وهما يتنادمان فى جلسة لا توحي إلا بعلاقة حرام بينهما ولما أحسا به تصرفا بشكل طبيعي وكأن لم يكن بينهما شيء ، وجم المهندس أنور

وأدرك أن علاقة حرام تجمع بين والده وزوجته ولكنه انتظر حتى يستفسر من زوجته عندما غادر والده البيت عائداً لبيته وكتم أنور غضبه ، وفى الصباح أخذ فى مساءلة زوجته عما رآه البارحة وتطور النقاش بينهما فاتهمها أن الأولاد ليسوا أولاده وأنهم أولاد حرام ، فبصقت الزوجة فى وجه زوجها واتهمته بعدم الرجولة وخرج أنور والشر يتطاير من عينيه متوجهاً إلى بيت والده وصارحه بالأمر وانهارت بينهما القيم وتقطعت الأواصر .

أما الزوجة التعيسة فجن جنونها وسيطرت عليها حالة من الهيستيريا أفقدتها أعصابها فأخذت ترمي بأولادها من الطابق العاشر واحداً تلو الآخر وسط ذهول الناس ورغم توسلاتهم ألا تلقي بهم ، ولكنها أعماها الغضب والجنون وألقت بهم جميعاً دون رحمة أو شفقة من الطابق العاشر ! [(١)] .

وهكذا كانت نزوة شيطانية سبباً بارتكاب هذه الجرائم البشعة التى لا يصدقها عقل ولكنها الشهوة الحرام واتباع الشيطان ، وكم حذرنا الله عز وجل فى كتابه المجيد من ألاعيب الشيطان ومكايده ، وأن همه إسقاط الناس بحبائله وضمهم لحزبه .

قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ** ﴾ [النور : ٢١] .

قال رسول الله ﷺ : « **إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناه منه منزلة أعظمهم فتنة ... يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته .. فيلزمه ويقول : نعم أنت** » [(٢)] .

---

(١) جريدة الأنباء .

(٢) صحيح : رواه مسلم .



الشقيق الفاسد

فى كل عائلة شخص يستاء الجميع عندما يتردد اسمه !! ...

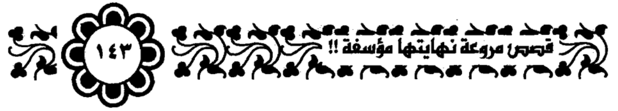
إنه ذلك الشاب الطائش الفاسد ، الذى يرفض كل محاولات الإصلاح ، والذى يفشل فى التعليم ولا يستقر فى وظيفة واحدة كثيراً ما يسبب المتاعب لنفسه ولمن حوله بتهوره واندفاعه !! ...

وقد يكون هذا الشخص غير المرغوب فيه من الجميع ... شقيقك أو ابن عمك أو ابن خالك ... وقد تحاول أن تتجاهله أو تتجنبه ... لكنك فى النهاية لا تستطيع أن تمحو أثر قرابته لك !! .

وهذه قضية شخص فاسد .. وجه ضربة قاتلة لأعز الناس إليه !! ...

مراراً وتكراراً حاول التاجر الثرى العربى أن ينصح شقيقه الصغير بأن يعود إلى الطريق المستقيم وأن يترك حياة اللهو والضياع ... وأن يبدأ فى الاستقرار وتكوين أسرة ... بعد كل هذه السنوات من الفشل المتلاحق والمتاعب التى سببها للجيمع ... ولهذا وعندها فوجئ التاجر بشقيقه ذات يوم يبلغه أنه قد عمل بنصيحته وعثر على عروس مناسبة وقرر أن يستقر ، وأن يبحث عن عمل ، كانت فرحة التاجر الثرى عظيمة ، وأعرب عن فرحته هذه بطريقة عملية ... فقد أبلغ شقيقه بأنه سيتولى سداد كافة مصروفات الزواج ... كما أنه سيلحقه بالعمل مديراً لإحدى الشركات العديدة التى يملكها والتى لها فروع فى عدد من البلاد العربية والأوروبية .

ونفذ التاجر كل وعوده لشقيقه الصغير ... فساعده بالفعل على الزواج ...



وعينه مديراً لإحدى شركاته .

وبدلاً من العرفان بالجميل ... كان الشقيق الأصغر يدبر جريمة لابتزاز أموال شقيقه الكبير !! .

كانت زوجة الشقيق الفاسد قد بهرت عندما علمت بحجم الثروة الطائلة التي يمتلكها شقيق زوجها ، وأخذت كل مساء وصباح تهمس في أذن زوجها بأن هذه الأموال تزيد عن حاجة شقيقه وأنهما أولى بالحصول على جزء من هذه الثروة ... وفي النهاية استطاعت الشيطانة أن تحث زوجها وتحرضه على تدبير المكيدة ليبتز بها ما يستطيع من ثروة شقيقه !! ...

وظل الشقيق الصغير يفكر في خطة مناسبة حتى ساقت له الظروف مناسبة رأى فيها الفرصة التي واتته لتنفيذ مخططه الشيطاني ... فقد طلب منه شقيق الكبير في أن يذهب مع بناته وأولاده لقضاء بضعة أيام في قصره بضواحي العاصمة الإنجليزية لندن ... وتظاهر الشقيق الصغير بأنه سيهتم بأولاد وبنات شقيقه الكبير ويرعاهم كما لو كان والدهم وليس عمهم ... لكنه كان يدبر لخطف أحد أولاد أو بنات شقيقه الأكبر !! ...

بعد أن طار الشقيق الصغير مع أولاد شقيقه إلى قصرهم في انجلترا ... بدأ يختفي عدة ساعات في النهار دون أن يعلم أحد مكانه وكان خلالها يرتاد الأماكن المشبوهة والمعروفة بتردد الأشقياء واللصوص عليها ... حتى تمكن في النهاية من التوصل إلى زعيم إحدى العصابات الدولية التي تخصصت في ارتكاب جرائم الخطف وفرض الأتاوات ... واتفق مع زعيم العصابة على أن تتولى عصابته خطف إحدى بنات شقيقه مقابل فدية قدرها مليون دولار ... على أن تحصل العصابة بعد استلام مبلغ الفدية على ربع مليون دولار ،

ويستولى الشقيق الصغير على الباقى ! ...

ومن ناحية أخرى ... فقد بدأ الشقيق الصغير ينفذ دوره فى الخطة كما أعدتها العصابة ... فاستطاع إقناع كبرى بنات شقيقه الكبير ، بأن تطلب من والدها البقاء فى لندن أياماً أخرى بعد انتهاء الإجازة ... وأن تقنع والدها بالموافقة على أساس أن عمها سوف يبقى معها ويرعاها ، دون أن يدرى الشقيق الكبير بما يحدث وبحسن نية وافق على طلب ابنته وأوصى شقيقه بأن يُحسن رعايتها لكن فى اليوم التالى تلقى الشقيق الكبير مكالمة بثت الرعب فى قلبه ..

فقد اتصلت شرطة اسكوتلانديارد بالثرى العربى وأبلغته أن مجهولاً اتصل بها وأبلغ عن تعرض ابنته للخطف ... فأسرع رجال الشرطة إلى القصر ... حيث وجدوا شقيقه الصغير مقيد الوثاق مكمم الفم ... وأبلغهم أن بعض المجهولين اقتحموا القصر وأخذوا ابنة أخيه رهينة ... بعد أن قيدوا وثاقه وأوسعوه ضرباً ...

ولم يستطع الشقيق الصغير أن يدلى بمعلومات أخرى لرجال الشرطة الانجليزية حول هوية الخاطفين ، وانهار فى نوبة بكاء هستيرية ... وهو يتظاهر بالندم لعدم قدرته على الدفاع عن ابنة شقيقه .

وتطورت الأحداث بسرعة ، فقد تلقى الشقيق الكبير مكاملة من العصابة تطالبه فيها بمبلغ الفدية وإلا تعرضت ابنته الرهينة إلى أسوأ مصير ... وبينما كانت الشرطة الانجليزية تطلب منه مسايرة العصابة علنا وتحرضه على عدم الاستسلام لطلباتهم ودفع الفدية على أساس أنهم يجرون تحريات واسعة للوصول إلى العصابة وإطلاق سراح ابنته ...

فى نفس الوقت كان الشقيق الصغير يلح على شقيقه الكبير أن يدفع

الفدية لتنجو ابنته ... وبالطبع كان ذلك لغرض فى نفس يعقوب !! .

لكن رجال اسكوتلانديار كانوا أسرع فى الوصول إلى حقيقة وتفاصيل الاتفاق السرى الذى تم بين العصابة وبين العم الطائش ، وعندما تأكدوا من تحرياتهم بدأوا يضيقون الحصار حوله ... فأخذ ينهار وخاصة أن العصابة من ناحية أخرى قد غدرت باتفاقها وأبلغته سراً بأن العصابة تريد مبلغ الفدية كاملاً ... ويكفيه أنهم لن يكشفوا سره ... وأنهم لم يقتلوه أثناء عملية الخطف .

وكانت النهاية أكثر من محزنة ، ففى نفس اليوم الذى ألقت فيه الشرطة على العم ... تم العثور على ابنة شقيقه الكبير ملقاة بالقرب من قصره بلندن بعد أن قتلتها العصابة يأساً من إصرار والدها على عدم دفع مبلغ الفدية .



العقاب السريع (١)

باع بقرته التى لا يمتلك سواها بثلاثة آلاف ليرة وقبض الثمن ووضعه فى كيس ثم دسه فى وسطه ... وتوجه إلى منزله وعليه علامات الحزن والحسرة وعلمت زوجته ببيع البقرة التى يمتلكونها فأخذت تعزيه عن فقدها وتمنيه بأن الله سيعوض عليهم بأحسن منها ... وجاء الليل وآوى الناس إلى منازلهم من شدة البرد .

وجلس الرجل « أبو حسن » وزوجه فى غرفتهما المتواضعة ، وبينما كانت أم حسن تعلل طفلها بالرضاع الكاذب لتحمله على الفطام إذا بطرقات خفيفة على باب الدار .

وفتح أبو حسن الباب فإذا برجل يرتجف من شدة البرد والمطر يقول : غريب ألجأنى البرد إلى قريتكم ولا أعرف بها أحداً ، وأنا فى طريقى إلى حمص ، فقال : أبو حسن : ماذا نستطيع أن نقدم لك ونحن أسرة فقيرة وبيتنا ضيق لا يساعدنا على استقبال الضيوف ... فقال الغريب : أرجوكم البرد شديد اسمحوا لى فقط بالمبيت عندكم حتى الصباح ولا أريد أن أكلفكم أية نفقة ، فقال أبو حسن : ليس لدينا سوى هذه الغرفة أنام بها أنا وزوجتى وطفلنا الصغير ، فاعذرنا لعدم وجود مكان لك ، فقال الغريب : أنام فى هذه الزاوية وتنامون أنتم فى الجانب الآخر ويمكنكم أن تضعوا بيننا حاجزاً وأجركم على الله ، رق قلب أم حسن لهذا الغريب وقالت : يعيننا الله يا أبا حسن ولعله يرد عنا المصائب

---

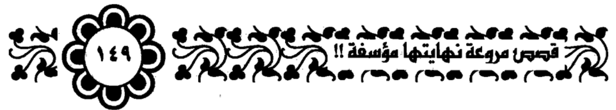
(١) بتصرف واختصار من « قصص هادفة من واقع الحياة » لمحمود درويش .

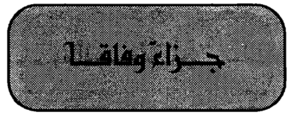
بحسنة هذا الضيف الغريب ... ورحبا بالضيف ثم قام كل إلى فراشه بعد أن أعدوا للضيف ما وجدوا لديهم من غطاء وفراش ، وما لبث أبو حسن وزوجه أن غطوا فى نومهم فقد أجهدهم التعب والسهر .

كان الغريب يراقب أهل الدار حتى تيقن أنهما استغرقا فى نومهم وإلى جانبهم طفلهم الرضيع ، فقام الغريب من فراشه على أطراف أصابعه وراح يتحسس موضع الطفل فحمله وخرج به من الغرفة ووضعه بعيداً فى فناء الدار .. وعاد إلى فراشه وتظاهر بالنوم ...و أحس الطفل بلسع البرد فراح يبكى فاستيقظت أم حسن على بكائه وتحسست فراش الطفل فلم تجده فيه فأيقظت زوجها وقالت له : لقد حبا الطفل إلى فناء الدار قم بنا نعيده إلى فراشه قبل أن يضره البرد ، فقاما حتى وصلا إلى الطفل وانحنت عليه أمه وضمته إلى صدرها وهى تقول : لهفى عليك يا ولدى ما الذى أخرجك من فراشك فى هذا البرد الشديد ، وما كان أبو حسن وزوجه يتجهان بطفلهما نحو الغرفة حتى خر السقف وانهدمت الدار فوقعا واجمين وسمع الجيران فرقعة الخشب وسقوط السقف فجاءوا ليسهموا بالإنقاذ ، فقال أبو حسن : يا ناس عندنا ضيف فى داخل الدار يجب أن ننقذه قبل كل شىء ، ودخل أبو حسن بصحبة بعض الجيران وسعوا إلى موضع الضيف فلم يجدوه ، فأخذوا يرفعون الأنقاض حتى وصلوا إلى سرير أبو حسن وإذا بالضيف ميتاً تحت الأنقاض وبيده كيس النقود وقد أخرجه من تحت الوسادة التى ينام عليها صاحب الدار ، كان هذا اللص قد حضر السوق ورأى أبا حسن وهو يبيع البقرة ويضع ثمنها فى الكيس فقرر سرقة الثمن ورسم الخطة لاختلاس المال وتبع أثر صاحب البقرة من بعيد حتى رآه يدخل الدار ، فلما أذنوا له بالمبيت حمل الطفل ليلاً إلى خارج الدار وتركه يبكى ليخرج أهله ، وعندها يتسنى له أخذ الكيس الذى فيه ثمن البقرة ، وقد

رأى أبا حسن يدسه تحت الوسادة ، كان اللص يضع الخطة وكان الله له بالمرصاد ، فما كاد ينفذ خطته حتى تأذن الله أن يتعجل بالعقاب لهذا الماكر الشرير منكر الجميل ، وأن ينقذ الطفل وأهله من سوء المصير ، فأوحى إلى الطبيعة فثارت ثورتها وسقط السقف على اللص فقضى نحبه تحت الأنقاض ، فلئن غفل الإنسان لا تغفل يد الله ... وانصرف الناس وهم يقولون : هذا مثل الجزاء السريع للذنب الفظيع ... وحقاً إن فى ذلك لعبرة لمن كان له قلب .







جزاءً وفاقاً

قال الشيخ عبد الله التليدى فى كتابه نصب الموائد :

حدثنى بعض حفظة القرآن من أصحابنا أن فقيهاً أخبره بأنه استُدعي لغسل ميت فى قرية ، فلما دخل عليه وكشف الستر عن وجهه فزع وخاف من منظره ، وحصل له رعب شديد حيث رأى وجهه انقلب فى صورة خنزير تماماً مع سلامة باقى جسمه فتركه وخرج مسرعاً إلى خطيب القرية ، فأخبره فجاء معه وشاهد الرجل ، فاتصل بزوجة الميت وسألها عما كان يتعاطاه زوجها وألح عليها فى ذلك فأخبرته بأنه كان يتعاطى السحر ، وكان عنده مصحف تحت التراب يبول عليه [(١)] ، وكان لذلك تتصل به الشياطين .

جزاءً وفاقاً ، لقد فضحه الله عز وجل فى الدنيا قبل دفنه جزاء ما اقترفه من أعمال سيئة ليكون عبرة لغيرة ، وكما تدين تدان [(٢)] .



---

(١) كما قيل :

واحكُم على الساحر بالتكفير وحَدّه القتلُ بلا نكيرَ

(١) « كما تدين تدان » جـ٢ ، لسيد الرفاعي .

الحرمان [1]

استيقظت عبير على أصوات العصافير فوق أغصان الشجر والتفتت من حولها فوجدت أخواتها من أبيها ممدات على سريرهن بملابس النوم الزاهية سابحات بأحلام سعيدة وكل واحدة منهن تزهو وجنتاها بالحمرة ، وهى البنت الوحيدة التى ليس لها سوى أبيها صالح هو لها مكان الأم والأب يحنو عليها وهى أحب إلى قلبه من بين بناته وكانت زوجة أبيها تغار منها ، ومن أجل غيرتها كانت متسلطة على عبير فلم تتم لعبير الحياة السعيدة كما تمنى لها والدها ...

لقد توفيت والدة عبير وهى بالسابعة من عمرها إثر حادث سيارة أليم ولم ينج من الحادث إلا عبير وأبوها ، وعاشت عبير مع أبيها وكان هو كل شىء بحياتها ويهتم بها ويحبها حباً شديداً ولكونها فقدت والدتها لا يوجد أحد لها سواه بهذه الدنيا فهو دائم التفكير بها وبعد سنة من الحادث تزوج من فتاة اسمها سعاد ، وفى صباح زواجهما صار يوصى زوجته سعاد لتهتم بعبير ويوصيها بها لما يراه منها من عدم اعتناء بابنته أمامه ، ولاحظت سعاد أن حُبه لابنته عبير ليس له مثل ، وحاولت أن توهمه وأن تجعله يقتنع بأنها تحبها وتعتبرها مثل ابنتها وبهذا اطمأن لها لأن كل أعمالها معه ومع ابنته تدل على الطيبة والإخلاص ، وانتهى الشهر الأول وعبير مسرورة بزوجة أبيها وكلما أتى

---

(١) عقد اللآلي والعبر ، لمريم الفوزان .

أبوها من العمل تتلقاه عبير وهـى تضحك مبسوطة وتقـول له كما توصيها سعاد ، ومرت شهور أيضاً وسعاد تحاول أن تغرس بقلب صالح حبها وإخلاصها إلى أن تبين أنها حامل وأعلمت صالح بهذه المفاجأة السعيدة وفرح صالح على أن يكون له طفل تلهو معه عبير وتنسى أخويها اللذين توفيا بالحادث مع والدتها والتى هى دائمة السؤال عنهم وعن والدتها ، وأصبحت سعاد متمكنة من قلب زوجها بإظهار الطيبة وخبر حملها ، وعندما أتت عبير كالعادة تتدلل على زوجة أبيها وتنام على حجرها وتقول لها يا ماما أنا تعبانة ورأسى يؤلمنى ، فنهرتها سعاد وقالت لها : ابتعدى أنا لست أمك ، فجفلت عبير من سعاد ولم تعهد هذا منها فماذا حدث ونظرت إلى زوجة أبيها وكأنها تسألها بعيونها ولكنها لم تتكلم فضربتها على وجهها وقالت لها : لا تنظرى لي هكذا ، ولا تشخصي بعيونك مرة أخرى ، هيا اذهبى وائتى لى بماء للشرب ، فذهبت عبير إلى المطبخ وهى تبكى بكاء المحروم وهى تسأل نفسها ماذا جرى لماما سعاد وتأخرت عبير بالمطبخ سارحة بما جرى ولكنها ظنت أن زوجة أبيها بها ضيق أو هناك شيء يغضبها ، فدخلت عليها سعاد وهى واقفة أمام الثلاجة وصرخت بها هيا استعجلى بالماء أيتها الجبانة ، ورمتها بالكلام الوقح وعبير تنظر باستغراب من ذلك ، وعندما أعطتها الماء نهرتها سعاد وأمرتها وقالت لها : اسمعى أيتها اللئيمة سوف أنزع دلالك هذا وأعلمك كيف تصبحين خادمة لدي ، هيا نظفى المطبخ ، فوقفت عبير محتارة كيف ستنظفه وهى لا تعرف أن تعمل فى البيت أبداً وبعمرها هذا لم تمسك آلة التنظيف ، فنظفته على قدر معرفتها ، وجاءت لكى تجلس فنهرتها زوجة أبيها مرة أخرى وقالت لها : لا تجلسى عندى هيا اذهبى ونظفى الحمام فبكت وقالت : أنا لا أعرف وإن أمى لم تعلمنى ، وأنا الآن صغيرة ووالدى لا يرضى أن أعمل وأنا بالعمر هذا ، فضربتها على رأسها وقالت لها :

اذهبى وإلا حبستك به ، فذهبت عبير ودموعها تنحدر على ثيابها مثل المطر الغزير وتقول : أمى أمى أين أنت ، وظلت واجمة بالحمام لا تعرف كيف تغسله وتأخرت وهى تغسل بـه وعندما أتت لها سعاد ورفستها بقدمها وقالت لها : أريد أن أغسله أمامك لكى تتعلمى بالمرة الأخرى ووقفت عبير تنظر إليها وهى تبكى فالتفتت إليها سعاد وقالت : ألا تكفين عن البكاء وإذا أتى والدك وأنت تبكين ، سوف ألهبك بالكبريت ، فخافت عبير وكفكفت دمعها من الخوف وذهبت وجلست بغرفتها ونامت على سريرها وهى تبكى وعندما جاء والدها سأل عنها فقالت له سعاد : إنها نامت بعد أن طالعت دروسها وتناولت العشاء ، فقال لها : هل استحمت ، إن غداً السبت ، فقالت : نعم وارتدت قميصها وتدفأت ونامت ، فلم يذهب إليها ويتفقدها لأنه مطمئن لسعاد بأنها كأمها ومرت الشهور وهو لم يلاحظ شيئاً ولا يرى ابنته إلا قليلاً ، ولحكم عمله يخرج فى الصباح ولا يأتى إلا بساعة متأخرة من الليل .

وفى ذات يوم جاء إنذار من مدرسة عبير يخبرون والدها بأنها متأخرة بالدراسة وكثيرة الغياب ، وإهمالها بهندامها وجاء الإنذار إلى عنوان مكتبه وعندما قرأه استغرب كثيراً ولم يصدق ما به فقرأه مرة أخرى ، ثم قام فزعاً مذعوراً إلى البيت ودخل دون أن تحس به سعاد ، وذهب إلى غرفة ابنته عبير وفتحها فلم يجدها فخرج من الغرفة فوجد سعاد أمامه فجفلت من دخوله وجحوظ عينيه فقال لها : أين عبير ، فقالت له : إنها بالمدرسة ، فقال إن طفلتى بحالة سيئة وأنا لا أدرى ، فقالت له كيف هذا فأعطاها الإنذار وقرأته وهى مذعورة ، وأثناء ما هم على هذا الحال دخلت عبير وهى تبكى فلم تعرف أن والدها هنا ولم تره أيضاً ، وقالت لخالتها : إن بالحمام حشرةً وأنا أخاف أن أدخله فقامت سعاد وضمتها إلى صدرها وهى تصطنع الحنان وتقول : لا

تخافى يا حبيبتى أنا أدخل معك ، وأخذتها وعندما دخلت دخلت معها ضغطت على كتفها وهى تقول : اسمعى أيتها الغبية إذا قلت لأبيك أنك كنت تنظفين الحمام سوف أسجنك به وأكويك ، سمعتى ، فخافت عبير من التهديد ، ثم أمرتها سعاد وقالت لها : هيا اغسلى وجهك واذهبى إلى غرفتك واستبدلى ثوبك ، فذهبت عبير وهى كابتةً عبرتها فى صدرها وهى تجرى ، فصرخ أبوها وهو ينادى يا سعاد ما الأمر ، إن عبير هنا ولم تذهب إلى المدرسة ، فأتت سعاد وهى تضحك طيب خربت الدنيا ، ماذا يعنى ، فقال : أجل الإنذار صحيح ، فقالت : لا ليس بصحيح ، إن ابنتنا لم تغب إلا يومين وجعلوها قصة بدون قصة ، فقال : أدعيها لي لكي أراها ، وأعرف ما بها ، لما لم تذهب للمدرسة ...

فذهبت سعاد لغرفتها ودعتها وضغطت على كتفها تحذرها وعندما حضرت عبير عند أبيها سألها فانفجرت بالبكاء فربتت عليها سعاد وقالت له : لماذا أخفت البنت يا رجل ، اذهبى يا حبيبتى إلى غرفتك فانصاعت عبير إلى أوامر سعاد ، وذهبت لغرفتها فلم يستطع والدها أن يحدثها ، وصدق مكر سعاد وكيدها فنبه على سعاد وقال لها : أرجو ألا يتكرر هذا مرة أخرى وحرصها على أن تهتم بالبنت وذهب لعمله ، ومرت الشهور وعبير والحمد لله علاماتها فى المدرسة جيدة مع عمل البيت وواجبات المدرسة ، وسعاد مستغربة من تفوقها وتقدمها ، ودائماً تسأل نفسها ، كيف تكون بهذا الذكاء وهى بهذا العمر ، ولكن سوف أجعلها تكره نفسها ...

وكانت سعاد تغار من عبير لأن أبا عبير يحبها وقد قال لسعاد أنها تشبه أمها ، ومن هذا حقدت عليها ، وفى أثناء ذلك كانت سعاد بأشهرها الأخيرة من الحمل ، وكانت دائماً تترك على هذه الصغيرة أعمال البيت ولكن عبير

أصبحت أكبر من عمرها بهذه الشهور ، وأنجبت سعاد ابنة أسمتها داليا ، وفرح بها صالح ، وقال بنفسه لقد أتى من يؤنس وحدة عبير ومرت شهور والصغيرة تكبر وعبير متمنية أن تراها ولكن سعاد لا تخرجها من غرفة نومها أبداً ، ولاحظ صالح هذا الشيء وتعمد يوماً بأن يحملها ويدخلها غرفة عبير ، فصرخت سعاد وقالت له : لا لا تدخلها إن عبير تقول أنا لا أحبها لأنها سوف تأخذ مكانى فى قلب أبى ، وأنا أخاف على ابنتى منها ، فالتفت صالح إلى سعاد وهو يقول : لا بالله ، خذى ابنتك إن حب عبير مالك قلبى وصار ينادى عبير عبير فلم تسمع نداء أبيها ، فذهب يبحث عنها فوجدها فى المطبخ أمام الحوض وأمام قنطار من الأوانى تغسلها ، فلم يتكلم بل تصلب بمكانه وذهل من هول ما رأى ، وصار يصرخ سعاد هلمى ياظالمة هلمى فعندما أتت سعاد لطمها على وجهها ، وقال : ألا يوجد بك ذرة حياء ، لا رأفة ولا رحمة حتى توقفى هذه الطفلة على الحوض لتغسل لك أوانيك ، يا ظالمة ثياب البنت كلها ماء ، هيا أنزلى من على الكرسى ياحبيبتى ، وحملها بين ذراعية وذهب بها إلى غرفتها وبدل ثيابها وضعها بسريرها وغطاها وذهب إلى سعاد وقال لها : منذ متى يا مجرمة وأنت تستخدمى هذه الطفلة ، لو أنها ابنتك لما رضيت بأن تغسل لك وأنت مرتاحة ، فبكت أمامه لتستعطفه عليها ، ولكنه رجل ذكى لا يهمه دموع التماسيح ، وركلها بقدمه وقال : عليّ الطلاق منك إن جعلتها تخدمك مرة ثانية ، فلاحقته سعاد فى الكلام وقالت : هذا من مصلحتها ، فصرخ بها أنها صغيرة ولا تتحمل ظلمك يا ظالمة ، وعندما تصبح بالثانية عشرة دعيها تساعدك ، أما الآن فأمريها بأشياء بسيطة مثلاً تلتقط الورق ، أو أى شيء خفيف وتركها وذهب إلى عبير وضمها إلى صدره وهو يبكى ويقول : لو أنها أمك لما رضيت لك هذا ، فرفعت عبير رأسها وهى خائفة وقالت لأبيها : لماذا فعلت هكذا

يا أبى ، إن ذهبت سوف تضربنى وتحرقنى بالكبريت وتحبسنى بالحمام ، أرجو يا أبى لا تذهب واعلمها يا أبى بأن لا تجعلنى أنظفُ الحمام ، أنا أخاف من الحشرات ، فقال لها هى تعمل هكذا ، فقالت عبير : أجل يا أبى ، فجن جنونه وترك عبير بسريرها وذهب لسعاد فوجدها نائمة ، فركلها بقدمه وقال هيا انهضى أيتها المجرمة ، أين حنانك وتمثيلك أول زواجنا ، لماذا تفعلين بعبير هكذا وأنا أظنك أماً ثانية لها ؟ ، لماذا تأمريها أن تغسل الحمام وتهدديها بالنار والحبس به ، هيا أذهبى إلى أهلك ، أخرجى من بيتى ، هيا أخرجى ولا أريد أن أرى وجهك ، واتصل بأبيها وقال له تعال خذ ابنتك ، فلم يأتِ والدها ، فأخذها هو بسيارته ووضعها عند باب أهلها وتركها ورجع لابنته عبير .

وأيقظها من نومها وقال لها : هيا انهضى يا حبيبتى وتعالى عندى بالصالة فخرجت عبير من الغرفة وهى خائفة من سعاد فتبسم لها أبوها وقال لها : لا تخافى يا نور عيونى ، إنها ذهبت إلى غير رجعة ، فتبسمت عبير وفرحت وقالت لأبيها : أبى لا تأت بها إنها تضربنى ، فتألم من كلام ابنته عبير وعرف أن سعاد كانت تقسو عليها من مدة وعرف أن الإنذار صحيح .

ومرت شهور وصالح لا يسأل عن سعاد وعبير مبسوطة مع أبيها تذهب إلى المدرسة صباحاً وفى المساء تذهب معه إلى المؤسسة واستمر الحال كما هو عليه ، وذات مساء سمعت عبير جرس تليفون المؤسسة يرن فرد عليه والدها وبعد ساعة من الزمن حضر والد سعاد ، فانزعجت عبير من رؤيته وخرجت من الغرفة التى هو فيها ، فلاحظ ذلك والدها ، لحقها وقال لها : ما بك يا حبيبتى فقالت : هذا والد سعاد فقال ماذا يعنى فقالت أخاف أنها ستأتى فانتفض أبوها وحملها بين ذراعية وذهب بها إلى أبى سعاد ، وقال : انظر كيف حال البنت خائفة حتى منك ، فقال وماذا عملت بها فقال : لا شىء ولكن خائفة بأنك

ستأتي بسعاد ، فاقترب أبو سعاد من عبير ومسح على رأسها وقال لها : لا تخافي يا طفلتي سوف أؤنب سعاد وأجعلها تندم على فعلتها هذه ، هيا اذهبي والعبي وذهبت عبير لتشاهد التليفزيون وبقي والدها مع والد سعاد وتباحثا بالأمر وشرح له أبو عبير عن أفعال ابنته وقال : هذه يتيمة ويجب أن تعطف عليها بدل أن تعاملها هكذا ، فتعهد أبو سعاد أن يصلح من حالها وأنها لن تأتي بطباعها الأولى ، ورجعت سعاد لزوجها صالح ، وسارت الأمور صافية وسعاد تدفن حقدها ولا تظهر إلا كل مودة وحب ، وصالح على حذر من سعاد دائماً يتفقد ابنته ولا يعتمد على زوجته بشيء يخص عبيراً .

ومرت ثلاث سنين وأنجبت سعاد خلالها ثلاث بنات وأصبح عمر عبير أحد عشر عام وصارت بالصف الخامس الابتدائي وأصبحت بنتا جميلةً وأبوها دائماً يفضلها على أخواتها بكل شيء وهذا شيء لا يخفى على سعاد أنه يحب بناته جميعهن ولكن يرحم ابنته عبير لأنها يتيمة الأم ، وذات يوم وهو عائد إلى البيت انتابه دوران في رأسه وأغمي عليه داخل السيارة ، ولاحظ ذلك أحد زملائه وكان ماراً من جانبه فأسرع إليه وحاول إخراجه من السيارة ، وحمد الله أنه لم يُدِرْ السيارةَ بَعدُ ، ونقله إلى سيارته ثم نقله إلى المستشفى وبعد الاعتناء الطبي استرد صالح وعيه وأعلمه الطبيب أن حالته تريد عناية لأجل الجلطة التي في الصدر وضغطه مرتفع وطبعاً ذلك من أثر زعل حصل بينه وبين سعاد والنقاش من أجل عبير لأن سعاد تحاول أن تتحكم بها وترجع إلى سيرتها الأولى في التعامل معها وفي استعبادها ، ولكن صالح واقف لها بالمرصاد وتحدث المشاكل من أجل ذلك ، وكانت عبير المسكينة دائماً منزوية بغرفتها ولا تخرج منها إلا عندما يأتي والدها ، ودخل أبوها المستشفى وحتم عليه المرض أن يرقد على السرير ويخضع للفحص .

وبهذا أتيح لسعاد الفرصة لكى تبدى سلطتها على عبير وعندما سمعت عبير بدخول والدها المستشفى أحست بالضياع ، ودخلت غرفتها وصارت تبكى بكاءً مراً وعندما رأتها سعاد لحقتها إلى غرفتها ودفعت الباب بقوة فجفلت عبير من ذلك وهجمت عليها سعاد وانهالت عليها ضرباً بدون ذنب اقترفته ، وتركتها بغرفتها تبكى وأغلقت الباب عليها وذهبت وبعد مدة وجيزة اتصلت سعاد بأخيها وقالت له : أريدك أن توصلنى إلى المستشفى لأزور صالحاً فأتى أخوها وعندما وصلت إلى صالح وجدته متعباً فصارت تصب دموع التماسيح فوق قلب صالح وشكرها على حنانها ورأفتها وسألها عن بناتها وسألها عن عبير ، وقال : أين هى فقالت : إنها بخير ، وإنها عند بيت أهلى مع بناتى وعدم مجيئها للمستشفى لحكم سنها ، فنظر إليها أخوها واستغرب من نفاقها ولكنه كتم استغرابه ولم يبدِ شيئاً .

فقال صالح لزوجته : أرجوك يا سعاد أن تحافظى على عبير ، إنها يتيمة وليس لها إلا أنت ، وأنا بالمستشفى فقالت : لا يكن بالك مشغولاً عليها هى بعيونى كفى أنت انتبه إلى نفسك وإلى صحتك ، نحن نريدك والبنات ما لهم أحد غيرك وودعته هى وأخوها ورجعا إلى البيت وأثناء ما هم بالطريق سألها أخوها : أين عبير ، فقالت : بالبيت ، فقال لها : كيف تتركيها بالبيت وحدها وفى هذا الوقت حول الغروب إنها صغيرة وتخاف وحدها ، فقالت له : أنت ليس لك دخل، هيا لنأتى بالبنات الصغار من عند أمى ونرجع لبيتنا ، فقال لها: أرجوك أن تهتمى بهذا اليتيمة كما وصاك أبوها ووضعها أمانة فى عنقك ، وإذا حفظت الأمانة سوف تنالين ثواب الله الذى هو أحسن ثوابٍ فى الدنيا وعند وصولهما إلى البيت دخل أخوها البيت وسمع صوت عبير تبكى ، فذهب إليها بغرفتها فوجدها مغلقةً فطرق الباب وردت عليه عبير وقال لها : افتحى ، فقالت

ماما سعاد أغلقت الباب عليّ ، فصرخ بأخته وقال لها : أعطنى المفتاح ، أنا لم أعهدك ظالمة هكذا ، وأعطته المفتاح وفتح للصغيرة وطيب خاطرها وقال لأخته إذا لم ترحمى هذه الصغيرة سوف أذهب إلى أبيها وأخبره عن أعمالك التى لا ترضى الله ولا عباده !! ..

فخافت سعاد من التهديد ووعدته فذهب أخوها وهو يوصيها أن تنتبه لنفسها وترحم هذه الطفلة ، قال سوف آتى كل يوم أتفقدها ومضى شهر وصالح راقد بالمستشفى وسعاد تكتفى بعض الأيام بأن تسأل عنه بالهاتف متحججةً بالصغار وكأن إحساسه يعلمه أن ابنته عبيراً فى عذاب ، لأنه دائم السؤال عنها ، وطاف شهر آخر وصالح بالمستشفى وعبيراً تحت سيطرة زوجة أبيها المتسلطة لدرجة أنها بدأت فى حرمانها من الطعام ، وإن أعطتها طعاماً فيكون غير طازج ، وصارت سعاد تكلف عبيراً بكل أعمال البيت ، وفى أحد الأيام قالت سعاد لعبير هيا أصنعى لى شايا ، فقالت عبير : أننى لا أعرف كيف أشعل البوتجاز ، فقالت لها هيا إذهبى وإلا ، فذهبت عبير من الخوف إلى المطبخ وحاولت عبير فتح مفتاح البوتجاز وتسرب الغاز بالمطبخ وعندما أشعلت عبير الكبريت اشتعل المطبخ وهى فيه ، فصارت تصرخ فلم تسمعها سعاد وحاولت عبير الخروج والنار عالقة بثيابها ، وفى هذه اللحظة حضر أخو سعاد فذهبت سعاد لتفتح له وسمع الصياح فى ملحق البيت ومن المطبخ ، ورأى اللهب يتصاعد من البيت فجرى نحوه هو وسعاد وهى مفجوعة من ذلك الصوت ، وعندما وصلا وجدا عبير تصرخ والنار ملتهبة بثيابها ، فركض طارق « أخو سعاد » داخل البيت وحمل بطانية وأتى بها ولفها فيها وقال لأخته : اتصلى برجال الإطفاء وأعطهم عنوان البيت ، وحمل طارق البنت وأراد أن يذهب بها إلى المستشفى ، فصادفه أحد الجيران أتى على الصوت فأعطاه عبير

وقال له : أرجوك اذهب بها إلى المستشفى ، وذهب بها الرجل وطارق عاد لأخته وبناتها وأخرجهم من البيت ، وعند وصول سيارة الإطفاء قامت باللازم ،و بعد أن اطمئن على أخته ذهب إلى الإسعاف ليرى ما جرى لعبير فوجدها بالعناية المركزة ، فسأل عن الطبيب المشرف عليها وعندما وجده سأله عن صحتها ، فقال الطبيب : إن شاء الله ستكون بخير ، ولكن الجروح عميقة ببطها وخدها الأيسر ، والآن هى نائمة لأننا أعطيناها مهدئاً ، والذى نفع عبير بأن النار لم تلتهم ملابسها القطنية الحمد لله على السلامة وإن شاء الله نرجو خيراً فغدا تعالَ لتراها ، هل أنت أخوها قال : لا ... وسكت قليلاً وقال ابنة زوج أختى ، ودع طارق الطبيب بعد أن أوصاه كثيراً عليها ورجع إلى أخته وبرأسه كلام كثير يريد أن يقول لها ، ودخل بيتها وهو غاضب ووجهه متغير فخافت سعاد من هيئته تلك وسألته مباشرة هل عبير بخير ، فقال لها : الحمد لله إن قدر الله ولطف ولكن هى بين الحياة والموت وأرجو أن تشرحى لى كيف حدث ذلك ، فقالت سعاد : إن عبير تحب أن تلعب بالكبريت وهى شقية وأذت نفسها بعبثها فقال طارق مصدقاً كلامها الأطفال يريدون انتباهاً كثيراً وليس قليلاً ، الله يهديك يا أختى لماذا لم تهتمى بهذه البنت ، ووالدها مستأمنك عليها ، فقالت له : قدر الله ومكتوب ، فصمت كثيراً وليس قليلاً فيها ما حدث بالحرق وهذا تشخيصهم للحادث وأخرج الورقة وقرأها وفجأة صرخ بأخته وهو يقول يا ظالمة إن التقرير يقول : هذا بسبب تسرب الغاز من المفتاح ، أتتركين مفتاح البوتاجاز مفتوحاً دون انتباه ، واحترقت هذه الطفلة البريئة فكانت إحدى أخواته جالسة مع أختها سعاد فقالت : لا يا أخى ، إن أختى أمرت عبير بذلك وقالت لعبير هيا اذهبى واعملى لى شاياً ، فقالت عبير : لا أعرف أن أشعل البوتجاز فضربتها أختى وقالت لها : هيا أذهبى وتعلمى وحدث

بعبير ما حدث ، فنظر طارق إلى أخته سعاد ولم يوعى على نفسه إلا وهو يضربها ويصرخ أنت مجرمة مجرمة لو أنا مكان صالح لطلقتك وبعد وهلة استرد وعيه وذهب من عندها وخرج إلى المستشفى ليتفقد عبير وبعد سؤاله عنها وجدها نائمة ، وأخذ رقم الهاتف بالعناية المركزة ليسأل عنها وعندما ذهب إلى بيت أهله قابله وهو غاضب وقال له : لماذا تأخرت يا بنى إلى هذه الساعة ؟ ، إن السهر ليس من عادتك ووالدتك قلقة عليك ، فسرد طارق على والده القصة فتأثر أبوه من ذلك وذهب إلى ابنته سعاد وهو متحامل عليها غاضباً .

وعندما وصل وسأل عنها قالت له بناتها إنها بالصالة تبكى وعندما رآها صارت تشكو له من طارق وما عمله فيها ، فقال لها أبوها هيا اخرجى وإلا أشبعتك أنا ضرباً أيضاً ، كيف ترضين لطفلة أن تدخل المطبخ وتعمل لك شاياً يا ظالمة ، الآن ماذا تقولى لوالدها ، فقالت : أرجوك يا والدى لا تعلم والدها إلا بعد أن تشفى تماماً فقال لها والدها : والله إن طارق فعل الذى أريد أن أفعله وإلا لكنت رأيت شيئاً أعظم مما فعل ، هيا انهضى وائتى أنت وبناتك معى ، فنهضت سعاد وهى تشعر بالخطأ الذى ارتكبته ولكن بعدما فات الأوان .

وفى الصباح الباكر ذهب طارق إلى المستشفى ليتفقد عبير وعندما وصل حاول الدخول لغرفة العناية المركزة فوجد السرير فارغاً كانت عبير فاغترت قواه وذهب ليبحث عن الطبيب فى حيرة ، وعندما وجده سأله قال له الطبيب الحروق التى فى البطن عميقة كما تعلم يا أخى فساءت حالتها ومهما كان القدر أقوى منى ومنك ولكونها صغيرة لم تتحمل أعضاؤها فتوفيت ، وعندما سمع طارق هز رأسه وجلس على الأرض حزيناً يبكى على هذه الطفلة البريئة ، ورجع إلى البيت مسرعاً وهو لا يرى الطريق أمامه وأعلم والده بالأمر لكى يتصرف مع والد عبير ولكنه هو أيضاً أصابته الدهشة وحزن لم يخبر سعاد لأنها

كانت فى حزن شديد على عبير وقد حاسبت نفسها على فعلتها وظلت تستغفر ربها وتبكى .

ومرت الأيام وسعاد لا تأكل ولا تشرب ودائماً تسأل عن عبير ، ولم تستطع أن تذهب لتراها لأنها مؤنبة نفسها على فعلتها ، وسمعت سعاد رنين الهاتف فرفع طارق سماعة الهاتف وإذا بأبى عبير يحادثه فاعتذر طارق عن الاستمرار فى المحادثة بعد أن سلم على أبى عبير وقال : سوف أنادى لك أبى ، وترك السماعة من يده كأنه ما صدق ، وولي هارباً إلى غرفة جلوس أبيه وقال له : أبى عم صالح على سماعة الهاتف فقال الوالد من مكانه وهو لا يعرف ماذا يقول وطلب من الله أن يهون المسألة عليه وعندما كلمه سلم عليه وسأل صالح عن أسباب عدم مجئ سعاد وعدم مجيئهم جميعاً ، فقال له أن سعاد عندنا بشأن عبير ، فقال : ماذا بها عبير ؟ ، فقال : والد طارق أنها متعبة قليلاً ومعها نزلة برد ، فقال له : أرجوك أعطنى إياها لأتحدث معها ، فقال له انها بالمستشفى مع سعاد للمراجعة ويجوز أن ترقد لمدة قصيرة فلم يصدق وانشغل باله على ابنته ورجع إلى طبيبه وطلب منه أن يأذن له لمدة قصيرة ليذهب ويطمئن على ابنته ولكن الطبيب لم يأذن له لظروفه الصحية فلم يهتم صالح لكلام طبيبه وخرج عندما حان وقت الزيارة ، وذهب إلى المستشفى التى ذكرها والد سعاد ، وسأل عن المريضة عبير فلم يجد اسماً بهذا الاسم فقال فى نفسه يجوز أنها لم تدخل المستشفى ، ورجع إلى بيت أهل سعاد وطرق الباب وفتح له الوالد ،وفوجئ به ورحب به وهو يقول : لماذا خرجت ؟ ، هل كتب لك الطبيب خروجاً أم ماذا ؟ ، فقال له صالح : إن بالى انشغل على ابنتى عبير ، أين هى فلم يعرف والد سعاد ماذا يقول له ، ورد عليه بصوت مخنوق استرح استرح ، حتى تأتى سعاد بابنتك عبير ، فاطمئن صالح من كلامه وجلس وذهب والد طارق وأتى

بالقوة وعندما جلس قال : أتصدق يا صالح أننى كنت أفكر بك لأستشيرك بشيء لأنك لم تعطنى وقتاً على الهاتف لأكلمك بصراحة ، هذا الأمر بشأن مؤسستي ، يوجد واحد من أصدقائي عزيزٌ علي فأودعت عنده أمانة ، وعندما أتيت أطلبها منه رفض أن يعطينى إياها ، وحاولت معه ولكنه رفض وحاول ضربي وشتمني ، فقال صالح : هذا لئيم ، اشكه يا عمى واطلب يمينه إذا لم تأخذ عليه إيصالاً ، فقال والد سعاد : ياولدى هذا الذى فاتنى لم آخذ منه شيئاً ، فقال صالح أقم عليه دعوة واطلبه لليمين فقال : أيردها لي ، فقال صالح : ياعمى إن كان رجلاً به خوف من الله فإنه يخاف من اليمين ويعطيك أمانتك ، وإن كان لا يخاف الله فإنه يحلف ويأخذها ، فقال والد طارق : ولو أنت مكانه وعندك أمانة لإنسان وجاءك وطلبك إياها ، هل تعطيه إياها ؟ ، فقال له : نعم يا عمى بالتأكيد ، فقال الرجل : أجل يا ولدى عبير ابنتك أمانة عندك والله أخذ أمانته منك ، والآن جئت بالوقت المناسب لنقوم جميعاً بدفنها ، وقال له : كن رجلاً صالح واعرف أن الله حق وكلنا إليه ذاهبون وانتبه لنفسك ، ولا يؤثر عليك الشيطان ، إنك رجل مريض وكل شيء يؤثر عليك ، فصمت صالح قليلاً ثم تعوذ من الشيطان وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، كيف حصل هذا قال : إن الأطفال أشقياء ، وهى تعبث بالكبريت اشتعلت النار بثيابها ، وكانت فى الملحق واشتعل المطبخ كله ، وهذا عمرها ، ولكن الأسباب تتعدد والموت واحد يابنى والأعمار بيد الله سبحانه ...

فخرج صالح من المجلس وهوم ذهول من هول الفجيعة ، ولحقه طارق وأوصله إلى المستشفى وعندما وصل لغرفته وجد أطباء المستشفى يبحثون عنه فعندما رآه الطبيب أسرع بإسعافه وهو يقول له : ألم أنهك عن الخروج فحدث طارق الطبيب وشرح له الأمر وأعطاه الطبيب حقنة مهدئة ونام صالح نوماً هادئاً

عميقاً وهو مستسلم ومؤمن بالقدر والمكتوب وبعد أن أفاق ذهب ودفن ابنته وهو حزين ، وصورتها لم تذهب من أمام عينيه وقال هذه الخاطرة التى خطرت على باله وهى عبارة عن كلمات رثى بها ابنته العزيزة :

لماذا رحلتِ وتركتينى ولم تودعينى ... لم يسمح لك الموت يا صغيرتى أن تقبلينى
إن عينى بكت على فراقك لا تعجبى ... يا سلوتى بعد فراق الأهل والأقربين
ما هو عزائى بعد فراقك يا حلوة الحلوين ... لماذا ذهبتِ يا مهجتى يا زهرة الرياحين
هل سأسلى بعدك أم أكن من الضائعين ... أم أبق سائحاً حتى ألتقى بالمحبين
أحسد القبر الذى ضمك ضم الحنين ... أم أحسد الأرض التى أنت عليها من النائمين
يا مهجتى ما سلواى بكل حين ... القرآن والتسبيح دعواى لرب العالمين
حياتى لا تسوى بدونك ذرة تراب ... الحلو فيها بعدك مر لماذا تذهبين
يا دار بمن تزهى بعد حور العين ... يا دار لا تنسى خطاها وفرقيها بين الماشين
يا دار أصبحت غبراء بعد عبير الطيبين ... يا دار احفظى ذكراها وإن بعتك يا دار لا تطيعينى

ومضى صالح شهراً فى المستشفى وهو حزين على ابنته ولكن سلواه الوحيدة هو ذكر الله سبحانه وإيمانه القوى بأن الموت حق ... وخرج من المستشفى إلى بيت أهل زوجته وطلب مقابلة زوجته سعاد ليصطحبها معه إلى البيت ولكنها أبت بأن تذهب معه وسأل أخاها عن السبب فقال : إنها مريضة ودائمة الصمت ، فذهب إلى بيته وحيداً دون زوجته وبناته ، وبعد يومين عاود الكرة وسأل عنها فى بيت أبيها وطلب مكالمتها ، وذهب والدها لها فى غرفتها وأعلمها بسؤال زوجها عنها ولكنها لم ترد ولا أى كلمة وبقيت صامتة وبلغ والدها زوجها فتعجب من ذلك ، وكان هو أيضاً يحب الصمت وجلوسه بغرفة

عبير ، ودائماً ينظر إلى صورتها وبعد أسبوع من ذلك ذهب إلى بيت أبى سعاد وطلب من أبيها بأن يدخل عليها بغرفتها وعندما دخل عليها وجدها قد تغيرت كلياً فسألها فلم ترد عليه ولا تتكلم مع أحد ، فالتفت صالح إلى أبيها وقال له ما بها ؟ ، فقال له : من يوم وفاة عبير وهى على سجادتها ولا تتكلم مع أحد ودائمة ذكر الله وملتزمة الاستغفار وتلاوة القرآن الكريم حتى بناتها لم تهتم بهن ، إن والدتها وأخواتها هن اللاتى يهتممن بهن ، فأطرق صالح رأسه وصمت قليلاً وقرب منها وواساها بكلمات طيبة ووعظها بها ولكنها دمعت عيناها ولم ترد عليه بكلمة واحدة ... إلا أنها نطقت بالشهادة ثم توفيت وانحنى عليها أبوها وتفحصها ، وعرف الجميع أنها توفيت فغطاها ، وطلب من صالح أن يسامحها ...



اليمين على من أنكر (١)

اقترض السيد « ... » من الحاج إبراهيم مبلغاً من المال على أن يرده إليه في نهاية العالم المقبل ... وسجل المبلغ في دفاتر الحسابات ، وأبدى السيد « ... » شكره وامتنانه وأصر على كتابة كمبيالة ، ولكن الحاج إبراهيم الرجل الصالح قال له : لا شكر على واجب وبينى وبينك الله فهو نعم الوكيل ونعم الشهيد ، وبعد سنة تقريباً مات الحاج إبراهيم بالسكتة القلبية ... وترك زوجة وأربعة أطفال أكبرهم فى الثالثة عشرة من عمره ، وراجعت الزوجة دفاتر زوجها المتوفى وسجلاته التجارية فعرفت ما لزوجها من ديون على الناس ، فبعثت إلى السيد « ... » تطالبه بما لزوجها عليه من دين ، ولكن السيد « .. » أنكر أنه مدين بشيء لزوجها ، وزعم أنه دفع ما كان عليه من دين لزوجها .. وتسامع الناس بما حدث وانقسم الناس إلى قسمين : قسم يؤيد ورثة الحاج إبراهيم ويذكرون أنه كان رجلاً صالحاً يقرض النقود حسبة لله بدون مستند أو كمبيالة وقسم يؤيدون السيد « .. » بأنه ليس من المعقول أن يدفع الحاج إبراهيم مبلغاً من النقود للسيد « .. » بدون مستند أو كمبيالة ، والتجأت زوج الحاج إبراهيم إلى بعض أهل الخير ليحملوا السيد « ... » على تبدل موقفه والاعتراف وسداد ما أخذ ، ولكنه أعرض وأصر وتمادى واستكبر كأنه صخرة عاتية ، فقامت الزوجة بعرض شكواها على المحاكم ... وجاء يوم المحاكمة ، وحضر المتهم إلى

---

(١) « عدالة السماء » ، محمود شيت خطاب ، « بتصرف واختصار » .

ساحة المحكمة ... يقول الحاكم فى القضية « كنت فى قرارة نفسى مقتنعاً بأن السيد « ... » مدين للحاج إبراهيم بهذا المبلغ ، ولكن لم يكن هناك دليل مادى غير تسجيل هذا المبلغ بخط الحاج إبراهيم فى سجل ديوان ديونه على الناس ، وهذا الدليل وحده لا يكفى لإثبات التهمة ، وأفاد السيد « ... » بأنه أعاد المبلغ إلى صاحبه بعد سنة ، وشهد أحد الرجال بأنه سمع السيد « ... » يثنى على الحاج إبراهيم ويذكر أنه انتشله من الفقر والحرمان باقراضه بعض المال حسبة لله .

ويقول الحاكم : كانت القضية كلها كريشة فى مهب الريح ، فحاولت أن أجر المتهم إلى الاعتراف بالدين لكنه كان يفلت من الاستجواب ... إن المحاكم فى مثل هذه القضية تطبق المبدأ القضائى البينة على من ادعى واليمين على من أنكر .. وقلت للمتهم : هل تُقسم بالقرآن الكريم بأنك لست مديناً للحاج إبراهيم بهذا المبلغ ولا بغيره ، وإنك دفعت ما كان له عليك من دين ؟ .

وقال المتهم : أُقسم ... ثم أقسم .. ونطقت بالحكم : البراءة .

وخرج المتهم مرفوع الرأس شامخاً من المحكمة وكان قوى البنية صحيح البدن سليماً معافى فى ريعان الشباب ، وما كاد يغادر المحكمة إلا وسمعت ضجة فأسرعت لأتبين الأمر ، فإذا بالسيد « ... » قد سقط على الأرض ميتاً على عتبة المحكمة وهتف الناس من حوله : لقد مات .. لقد مات .. يقول راوى القصة كانت زوجة الحاج إبراهيم تسكن قريباً من دارى ، واشتقت أن أسمع الخبر منها ، فكان مما قالته ، « كان المرحوم الحاج إبراهيم باراً بجيرانه خاصة ، وبالناس عامة ، وكان يقرض المحتاجين ويكتفى بتسجيل قرضه فى سجل خاص ، وكنت ألومه على ذلك فيقول : المال مال الله وقد كنت فقيراً فأغنانى

الله ... وشهدت محاكمة السيد « ... » وحكم القاضى بالبراءة ، فلما أقسم اليمين اقشعر بدنى ، فقد كنت مؤمنة بأنه كاذب وأنه اجترأ على كتاب الله تعالى وقلت أخاطب الله : اللهم إنك تعلم السر وأخفى وإنك غلام الغيوب اللهم إن كان السيد « ... » كاذباً فى قسمه ويمينه فاجعله عبرة للناس ياقوى ياجبار .

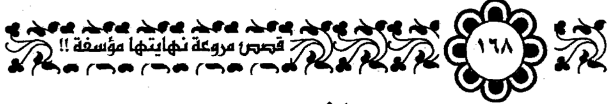
وخرج المتهم من المحكمة وأنا أنظر إليه ولكنه سقط ميتاً على عتبة المحكمة لقد نجا السيد « .. » من حكم الأرض ولكنه لم ينج من حاكم الأرض والسموات .

وفى ليلة من ليالى الشتاء حيث كان الناس يأوون إلى مضاجعهم وفى ساعة متأخرة من الليل كان جرس دار الحاج إبراهيم يرن قوياً ، وكان على الباب امرأة متحشمة بالسواد يرافقها طفل فى السادسة من عمره ... وفتحت زوجة الحاج إبراهيم الباب لترى من الطارق فوجدت زوج السيد « ... » ومعها ولدها الوحيد .

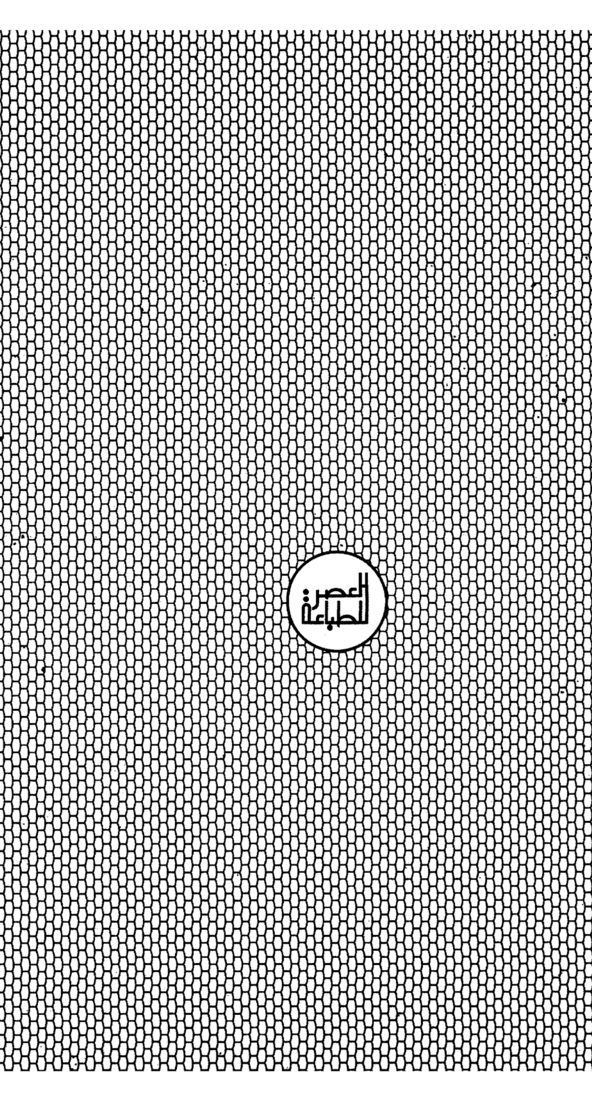
وقالت زوج السيد « ... » للسيدة زوج الحاج إبراهيم : « لقد أنكر زوجى بأنه مدين للحاج إبراهيم وكنت أعرف بأنه كاذب ورجوته أن يسدد ما عليه من دين وألححت عليه ولكنه مضى فى غيه .. لقد دفع زوجى ثمن كذبه غالياً ، وهذا هو المبلغ الذى كان مديناً به لزوجك ، وألقت إليها بالمبلغ وانصرفت » .

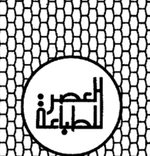
وكانت القصة عبرة وعظة ، فهل من معتبر ؟!! .





الفهـرس


العصر
للطباعة


العصر
للطباعة

تطلب جميع إصداراتنا من

المغرب

مكتبة الرسالة
56 زنقة الإمام القسطلاني - حي الداخلة - الأحباس
الدار البيضاء هاتف 446664

اليمن



دار القدس
للنشر والتوزيع
اليمن - صنعاء - الخط الدائري - أمام الجامعة القديمة
تليفاكس: ٢٠٦٤٦٧٠ ص ب: ٣٦٠٠



دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - تليفون: ٥٤٤٦٤٩٦
E-mail: dar_eleman@hotmail.com